أهمية التأثيل في التاريخ المعجمي

أ.د عبد العلي الودغيري
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
جامعة محمد الخامس- الرباط

المفهوم والموضوع

لفظ **"التأثيل"**، بمعناه الاصطلاحي، حديث الاستعمال في العربية؛ فقد كان المرحوم عبد الحق فاضل ـ حسب علمنا ـ أول من أطلقه في القرن الماضي[1]. ونحن نقتبسه منه بالمعنى الذي استعمله، وهو الدلالةُ على ما تدلُّ عليه الكلمةُ الأعجمية "إيتيمولوجيا"(Etymology / Etymologie) الموروثة عن الإغريق؛ فهم وضَعوها للتعبير عن الموضوع الذي شغَلهم كما شغَل الهنود من قبل، وهو البحث عن أصول الكلمات وأسباب تسميةِ الأشياء بما سُمِّيت به، في إطار الفلسفة اللغوية التي تبحث في علاقة الأسماء بمُسمَّياتها (هل هي اعتِباطية أم اصطلاحية أم طبيعية أم توقيفية) وكيفية نشأة اللغة ومفرداتها. وقد آثَر واضعُ هذا المصطلح العربي أن يستعمل "التأثيل" بدلَ **"التأصيل"** الذي أصبح مُستهلَكًا من كثرة التداول في مجالات مختلفة وعامّة ففَقَد بذلك خصوصيَّتَه. وبجانب "التأثيل"، أطلقَ لفظَ **"تَرْسِيس"** لتسمية نوعٍ خاصٍّ منه وهو الذي يبحث في الأَصول (أو الأُثول) البعيدة للكلمات خلافًا للتأثيل العادي أو العام الذي يقتصر على تناول الأُصول القريبة. وقد تَابَعناهُ في هذا الاصطلاح أيضًا، لكننا آثَرنا الإبقاء على لفظ "تأصيل" للدلالة على البحث عن أصول الكلمات

(1) انظر: فاضل عبد الحق: مغامرات لغوية (بيروت، دار العلم للملايين 1970).

داخلَ اللغة الموصوفة بخلاف "التأثيل" الذي هو لفظٌ شامل تدخل تحته العمليةُ التأثيليةُ برمَّتها وبمختلف جوانبها التي سنذكرها بعد قليل.

وهناك باحثون آخرون يستعملون ألفاظًا عربيةً مُرادِفة للدلالة على هذا العلم، مثل:(أَثالة، تأصيل، تَرْسيس، تحقيق، أصول الكلمات...) إلى جانب الاحتفاظ باللفظ الأعجمي المقترَض "إيتيمولوجيا". وهناك من يُترجم الكلمة بلفظ **اشتقاق**. كما فعل مُترجِما كتاب **اللغة** لجوزيف فندريس[2]، فاستعمَلا هذا اللفظ حيثما وردَ مُقابلُه (إيتيمولوجيا) في الكتاب. وهذا في نظري استعمالٌ غير دقيق وغير شامل لأن العملية التأثيلية لا تقتصر على الجانب الاشتقاقي وحده كما سنرى، رغم أن البحث في اشتقاق الكلمة من أصولها الداخلية يُعدُّ جزءًا من التأثيل بمفهومه الواسع، وإن لم تَجرِ العادةُ بذكر ذلك تحت خانة التأثيل في القواميس الخاصة بهذا الموضوع، وأن التأثيل في بدايته عند الهنود واليونانيّين واللاتِينيّين والعرب كان يتوسّل بأدواتٍ اشتقاقية. ومضمونُ التعريف الذي وضَعه فندريس لعلم الإيتيمولوجيا ـ وسنورده بعد قليل ـ هو نفسه حُجةٌ على أن ترجمة (إيتيمولوجيا) ب(اشتقاق) ترجمةٌ قاصِرة وغير دقيقة.

هذا من حيث المصطلح المستعمل، أما من حيث مفهومُه وموضوعُه، فيمكن أن نميِّز في التأثيل بين اتجاهين:

الأول: مختصَر يتوقَّف عند البحث في الأصول الخارجية للكلمات المستعمَلة في اللغة المدروسة، دون ما هو متأصِّل ومشتقٌّ من هذه اللغة نفسها.

وقد تشمل هذه العمليةُ ما هو مأخوذٌ من لغات أجنبية، وما هو مشترَكٌ بين اللغة المدروسة وأخَواتها المنحَدِرة من أُمٍّ واحدة، كشأن الألفاظ المُشترَكة بين اللغات الجَزَرية (الساميّة) التي من المفترَض أنها تنتمي للغة أُمٍّ أصلية، أو تلك المشترَكة بين اللغات الرُّومانيّة المنحدِرة من اللاتينية. وقد يَضيقُ مجالُ التأثيل في

(2) انظر: ترجمة الكتاب لعبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، طبعة مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة 1950، وخاصة الصفحة 266.

هذا الاتجاه أكثر من ذلك، فلا يهتمّ إلا بالمقترَضات من اللغات الأجنبية المستعمَلة في اللغة الموصوفة. أما البحث في الأصول المشترَكة بين فروع اللغة الأصلية الواحدة، فيوضَع تحت عنوان آخر وهو **المُتناظِرات**، باعتبار أن أثُول الكلمات الموجودة في فروع اللغة الأصلية تُعدُّ من الرصيد الذي لا يمكن لفرعٍ منها احتكارُ مِلكيَّتِه وادّعاؤُه لنفسه دون غيره، وإنما هو من الموروث المشترَك بين بقية الفروع كلِّها أو بعضها. فاللفظُ أو أصلُه الذي يُوجَد في العِبرية ـ مثلاً ـ ويكون له نظيرٌ في العربية مثل:(مَنّ، عَدَن، إلاه، تابُوت...)، لا يمكن اعتباره عِبريّا خالصًا ولا يمكن أن نَجزم بأن العربية استعارته منها، ولاسيما إذا وجدناه شائعًا في فروع أخرى كالآرامية أو الأكّدية أو إحدى اللغات الحبَشية السامية. وهذا ما جَرَى به العملُ في **المعجم الكبير** و**معجم الدوحة التاريخي**.

وقد يقتصر هذا النوع من التأثيل أيضًا على الجانب اللفظي للوحدات المعجمية دون جانبها الدلالي، وعلى أصولها القريبة دون البعيدة، ولا يهتمّ بتطوّر المعاني ولا يتتبَّعها في سياقاتها واستعمالاتها المختلفة، ولا بالبحث في الأصول الدَّلالية المشترَكة بين الكلمات.

ثانيهما: اتجاهٌ يُوسِّع مجال البحث ليشمل الجوانب الآتية:

أ ـ البحث في أُثُول الكلمات بغضِّ النظر عن كونها من خارج اللغة الموصوفة أو من داخلها، فيشمل الناحيتين معًا: التأثيلَ لما هو خارجي، ولما هو داخلي أيضا، أي لما هو مشتقٌّ من وحدات أخرى داخل هذه اللغة، على اعتبار أن الاشتقاق جزءٌ من العملية التأثيلية الكاملة وليس مفصولاً عنها، ولاسيما عندما تتعرَّض الكلمة داخل اللغة المدروسة إلى أشكال من التطوّر، في أصواتها أو صِيَغها أو دلالاتها، تُبعِدها عن وضعها الذي صارت إليه في مراحل تالية، مثلما وقع في (خَرْشَف) المتحوّلة عن (حَرْشَف)، و(دشيش) المتحوِّلة عن (جَشيش) في غالب الظن[3]. و(مَدْشَر)[4] المتحوِّلة في عامّية المغرب عن أصلها

(3) ما يمكن استنتاجُه بصفة أوّلية من **معجم الدوحة التاريخي**، في نشرته الإلكترونية التجريبية (2018)، أن صيغة (دشيش) لم ترد في نص قديم قبل سنة 200هـ، بينما رُصِدت مشتقاتٌ كثيرة لمادة (ج ش ش) ==

الفصيح وهو (مَجْشَر)، و(أَيْنُق) جمع: ناقة من: (أَنْوُق)، و(أشياء) التي مرَّت بعمليات تحويلية حسب رأي النحاة قبل أن تستقر على وضعها الحالي[5]، وكلمة (قِسِيّ) جمع: قَوْس، وأصلُها: قُؤُوس ـ حسب رأي الاشتقاقيّين ـ ثم وقع فيها تقديم وتأخير وتحويل[6]. وهناك كلماتٌ كثيرة لم يتأكّد الاشتقاقيون من حقيقة أصلها فاختلفوا فيها مثل كلمة (حُنْجود)، وهي من أسماء العرب القديمة، مما اضطرَّ ابنَ دريد إلى اقتراح بعض الافتراضات فقال: «إن كانت النونُ والواو زائِدَتين، فهو من الحَجْد، والحَجْدُ ليس من كلامهم؛ لأنَّ حُنْجودًا في وَزن عُنقود وصُنْبور وأشباهِ ذلك. فإذا حَذَفنا الزوائد من عُنقود فيصير من العَقْد والاشتباك، وله أصلٌ من كلامِ العرب. وصُنْبورٌ النونُ [فيه] أصلية، لأنَّهم يقولون: صَنْبَرَتِ النخلةُ: إذا دقَّ أسفلُها، فصار له أصلٌ في كلام العرب. وليست (حُنجُود)، إذا حُذِفت الزوائدُ، له أصلٌ في كلامهم، فرجعنا فيه إلى ما يَرجعون إليه من أسمائهم المشتقَّة من الأفعال التي أُميتَت. وسألتُ أبا عثمان الأُشنانداني عنه فقال: لا أدري ممَّا اشتُقّ. وقال يونس النحويّ: الحُنْجود: وعاءٌ

== بعضُها يعود إلى زمن بعيد قبل الهجرة، مثل كلمة (أجش) التي رُصِدت في نص مؤرَّخ بنحو 146 قبل الهجرة، وفعلُ (جَشَّ) في نص يعود لسنة 12 قبل الهجرة، و(جشيشة) التي وردت في أثر لأحد الصحابة، ومشتقات أخرى بعد ذلك. وجاء في **لسان العرب**: الدَّشُّ: اتخاذُ الدَّشيشة، وهي لغةٌ في الجَشيشة. قال الأزهري: ليست بلغة ولكنها لُكنة، وقد أورد شاهدًا على هذه اللكنة حديثَ أبي الوليد بن طَخْفَة الغِفاري بلفظ: «يا عائشة أطعمينا، فجاءت بدشيشة»، لكن الحديث نفسه مرويّ بصيغة أخرى عن عِتبان بن مالك الخزرجي (ت. ن. 50هـ): «حَبَسْنا رسولَ الله صلى الله عليه وسلّم على جَشيشة صَنَعناها له».

(4) مجمَّع سَكني قروي صغير.

(5) رأيُ الخليل وسيبويه أن الأصل في أشياء: شَيئاء على وزن: فَعلاء، فاستثقلوا توالي الهمزتين فحوَّلوا الأولى منهما إلى أول الكلمة فصارت أشياء على وزن لَفعاء. وقال الفراء والأخفش من الكوفيّين: أصل الكلمة: أَشيِئاء على وزن: أَفعلاء، فاجتمعت همزتان بينهما ألف فحُذِفت الأولى فصارت الكلمة على شكلها الحالي: أشياء.

(6) في **لسان العرب** لابن منظور (مادة: قوس): «وكان أصلُ قِسِيّ: قُؤُوس لأنه فُعُولٌ، إلا أنهم قدَّموا اللام وصيَّروه قِسِوٌّ على فُلوع. ثم قلبوا الواو ياءً وكسروا القافَ كما كسروا عينَ عِصِيّ، فصات قِسِيّ على فِليع، كانت من ذوات الثلاثة فصارت من ذوات الأربعة. وإذا نسبتَ إليها قلتَ: قُسَويٌ لأنها فُلوعٌ مغيَّرٌ من فُعُول فتردُّها إلى الأصل».

شبيه بالسَّفَط»[7]. ومن الكلمات التي تحتمل أكثرَ من أصل كلمةُ (ماويَّة) التي تَسمَّى بها النساءُ. فقد حاول ابنُ دريد تأصيلَها فقال: «والماويّة ـ زعموا ـ: المِرآةَ. ويمكن أن يكون اشتقاقُها من أَوَيْتُ له، أي رَحِمْتُه ورَفَقْتُ له، أو تكون منسوبةً إلى الماء، وهو الوجهُ إن شاء الله. ويمكن أن يكون من قولهم: أوَى إلى موضع كذا وكذا، وهو آوٍ وآوَاهُ غَيرُهُ فهو مُؤْوىً مثل مُعْوًى. والفاعل مُؤْوِي مثل مُعْوِي. والوجه عندي أن تكون من المِرآة. وأحسِبُني قد سمِعتُه من بعض علمائنا هَكذا. فأمَّا المَأوَى، فهو المَوضِعُ الذي تَأوِي إليه، وهو مهموزٌ من قوله جَلّ ثناؤه: ﴿جَنّةُ المأوَى﴾(النجم: 15) ، وأوَتِ الطَّيرُ إلى المكان تَأوي أُوِيّاً فهي أُوِيٌّ. قال الراجز:

* جَواثم كالحِدَإ الأُوِيِّ *».

ومما اختلفوا في اشتقاقه واحتاج إلى بحث تأصيلي، كلمة (إلياس) التي تسمَّى بها العربُ قديمًا كإلياس بن مُضَر، وتسمَّى بها العِبرانيون وغيرُهم من الساميّين. قال ابنُ دريد[8]: «يمكن أن يكون اشتقاقُ (إلياس) من قولهم: يَئِس يَيأسُ يَأسًا، ثم أدخلوا على اليَأس[9] الألف واللام[10]. ويمكن أن يكون من قولهم: (رجلٌ أَلْيَسُ) مِن قومٍ لِيسٍ، أي شُجاعٌ، وهو غاية ما يُوصف به الشجاعُ. هذا لمن يَهمِز إلياس، والتفسير الأول أحبُّ إليَّ». وأتى لسان العرب برواية أخرى يقول أصحابُها بوصل الهمزة، إضافة إلى رواية القطع[11].

---

(7) أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد. **الاشتقاق**. تحقيق عبد السلام هارون (بيروت: دار الجيل، 1991) ص: 213.

(8) المرجع نفسه، ص: 30.

(9) كذا في الأصل، والمفروض أن يقال هنا: (يأس) بدون ألف ولام.

(10) فيكون اللفظ المسمى به على هذا الأساس هو (اليأس) ثم خفّفت الهمزةُ فأصبحت الكلمة تُنطق (الياس) مثل (الناس).

(11) جاء في (مادة: سلل): «قال المفضّل بن سلمة وقد ذكر اليَاسَ النبي عليه السلام: فأما **اليَاسُ** بن مُضَر فألفُه ألفُ وصل واشتقاقُه من اليأس وهو السُّلُّ [...] وقال الزبيرُ بن بكّار: الياس بن مضر هو أول من مات من السُّل فسمي السُّل يأسًا. ومن قال إنه إلياس بن مضر بقطع الألف على لفظ النبي عليه الصلاةُ والسلام، أنشد بيت قُصَي: (أُمَّهَتِي خِنْدِفُ والياسُ أبي). ولا بد على قطع الهمزة مـن إسقـاط الواو ==

ومما يُحتاجُ إلى تأصيلٍ في القاموس التاريخي، حالةُ الألفاظ المُتجانِسة لفظًا والمختلفة معنى وأَثْلاً، ككلمة (المَرّ) الذي ينقسم إلى ما له أصلٌ في العربية وما لا أصل له فيها. فالأول هو (المَرُّ) بمعنى الحَبْل، من أَمرَرتُه إذا فَتَلتُه، وبمعنى المَرّة أو جمعها مثل مِرارٍ، فهو أصيلٌ في العربية. والثاني: (المَرّ) عند مَن قالَ إنه أعجميٌّ معرَّب كابن دُريد[12]، ومعناه المِسحاةُ أو مِقبضُها، والمِحراث أو مِقبَضُه، وما يُعمَل به في الطِّين. والتمييز بين الأصلين يقتضي عمليةً متكاملة من التأصيل الداخلي والتأثيل الخارجيّ. وأمثلةُ هذا النوع من الكلمات في معجمنا العربي، كثيرة جدًّا. والقواميس التأثيلية الأوروبية لا تقتصر في العادة على التأثيل الخارجي وحده، وإنما تُضطرُّ إلى التأصيل الاشتقاقي الداخلي الذي تُورِده ضمن الخانة المخصَّصة للتأثيل ولا تُخرجه منها[13]، ولاسيما بالنسبة للكلمات المركَّبة[14] والمنحوتة والمختصَرة[15] على السواء.

== أو تسكين فاء خِندِف ليستقيم الوزن. قال: واشتقاقُه من رجل أَلَيَس أي شُجاع. والأَلَيَس الذي لا يفرّ ولا يَبرَح...»

(12) ابن دريد. **الاشتقاق**، ص 23. ولم أجد في **لسان العرب** و**القاموس المحيط** و**تاج العروس** إشارةً إلى أعجميته، وأما **الصحاح** للجوهري فلم يذكره بالمرة، فاستدركه عليه الصاغاني في **تكملته**، لكن الصاغاني بدوره لم يُشِر إلى أعجميته. وذكر الأب نخلة في**غرائب اللغة** أنه سُرياني معرَّب. وبما أن الكلمة دخلت إلى اللغات الأوروبية ومنها الفرنسية بصيغة (marre)، والإيطالية بصيغة (marra)، فقد جاء في بعض القواميس الأوروبية أن الإيطالية أخذتها من العربية مباشرة، وذكر بعضُها الآخر أن اللاتينية نفسها أخذتها من لغات عروبية سامية كالسريانية والأكَّدية. انظر: عبد العلي الودغيري. **العربيات المغتربات**. عمّان ـ الأردن، دار كنوز المعرفة، 2018. تحت مدخل :(marre).

(13) يذكر قاموس اللسانيات لديبوا وآخرين من عناصر التأثيل:

أ ـ أن يكون موضوعه «البحث في العلاقات التي تكونُ لكلمة من الكلمات مع وحدةٍ أخرى أقدَم منها فتُجعَل أصلاً لها».

ب ـ أن «يهتم، في حالة الاشتقاق، بدراسة صيَغ الألفاظ (أشكالها التلفُّظية). وعن طريق ذلك يتم إرجاعُ بعض الوحدات الحديثة إلى ألفاظٍ أخرى معروفة من قبلُ. وهكذا، فإن كلمة: aborder في الفرنسية، تُشرَح بردّها إلى: bord. وكلمةُ: linguiste بإرجاعها إلى: lingua المأخوذة من اللاتينية».

انظر: J. Dubois et autres: Dictionnaire *de linguistique*: *Etymologie*. (Larousse,Paris 1973).

(14) مثل : exporter, reportage التي تفكّك إلى عناصرها المُكوِّنة لها : (re+port+age), ex+port+er).

(15) مثل: métro التي تُضطرَّ القاموسَ التأثيلي إلى ردّها إلى أصلها الذي اختُصِرت منه وهو: métropolitain

ومن الأمثلة على ما يحتاج إلى تأصيل داخلي وتأثيل خارجي كذلك، كلمة (سَحْلب) التي استعارتها الفرنسية في القرن الثامن عشر بصيغة salep، كما استعارتها الإنجليزية بهذه الصيغة وبصيغة saleb أيضًا، إلى جانب لغات أوروبية أخرى بصيغ متقاربة. لكن هذه الكلمة العربية هل هي أصيلة في لغتنا أم جاءت إليها من التركية؟ إذ يقال إنها مجرد تحريف لكلمة أخرى هي (ثعلب) المأخوذة من المركب الإضافي (خُصَى الثعلب) ـ وهو نوع من النبات معروف قديمًا ـ كانت التركية قد استعارتها مباشرةً أو عن طريق الفارسية، فتحوَّلت فيها إلى: salap , saleb, salep، ومنها انتقلت إلى اللغات الأوروبية، من ناحية، وإلى العربية في عباءة متنكِّرة، من ناحية أخرى، أي في صيغة (سَحْلَب). ذلك أن هذه الكلمة بهذه الصيغة غير واردة في القواميس القديمة حسب علمنا، وإنما ظهرت في القواميس الحديثة، ونقلها دوزي ومارسيل دوفيك من قاموس إلياس بُقطُر، وهو قاموس فرنسي عربي) طبع أوائل القرن التاسع عشر. فهل نقلها بُقطُر عن عامية مشرقية كانت منتشرة إذ ذاك[16]، أم قام باختلاقها تعريبا للفظ الفرنسي، كما فعل حين ارتجل كلمة (أرضي شوكي)؟ فالبحث في هذه الجوانب كلها يجعل تأثيل الكلمة متشعّبًا ومتداخلاً بين التأصيل الداخلي والتأثيل الخارجي.

والتأثيل الذي عرفه القُدماء من يونانيّين ولاتينيّين كان يُخصّص مساحة كبيرة للتأصيل الداخلي. فأفلاطون ـ مثلاً ـ كان يؤصِّل اسم إلاهِ الخمر Dionusos[17] بالقول إنه مشتقٌّ من (didous ton oinon)، أي الذي يُعطي الخمر، واللاتينيُون كانوا يفسّرون كلمة:cadaver بردِّها إلى (ca) (لحم) و(da) (أعطى) و (ver) (دُود) أي: لحمٌ يُعطى للدُّود[18]. والأغلبية الساحقة من التأثيلات التي

(16) يقول أحمد أمين في **قاموس العادات والتقاليد** (القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر 1953) ص 230، ان السَّحلب نبات يأتي من الهند يدقّونه ويصنعون منه شرابا دافئا في الشتاء.

(17) ديونيسوس أو باخوس إلاه الخمر عند اليونان.

(18) J. Dubois et all : *Dictionnaire de linguistique : Etymologie*. (Larousse,Paris 1973).

نجدها في كتاب "**الأصول**" (Etymologiae) لإيزيدور الإشبيلي (ت636م)، تدخل تحت هذا النوع الذي نسميه بالتأصيل الداخلي. منها الأمثلة الآتية:

(amicus) – في اللاتينية بمعنى صديق، جاءت من (animi custos) أي: حارس الرُّوح، فكأن الصديق هو ذلك الذي يُلازمك ويَحرُس روحك.

ـ clamosus في اللاتينية بمعنى (ضجيج أو صَخَب)، من: calamus أي: القَصَب لأنه يُحدث نوعًا من الضجيج الخفيف[19].

ـ calculator الحاسِب (الذي يَحسُب أو يُحاسِب)، من: calculi أي الحَصَى، لأن عملية الحساب عند القدماء كانت تتم عن طريق تَعداد هذه الأحجار الصغيرة.

ـ decolor بمعنى: شاحِب، فاقِدٌ للون، من (de + color).

ـ mundus من (mundo) و(eius) بمعنى: العالَم المكوَّن من السماوات والأرض والبحار وكل النجوم، وسُمِّي بذلك الاسم لأنه في حركة دائمة (motus) ولا يسمح لأي عنصر من عناصره بالراحة.

ـ (nox) بمعنى: الليل، جاءت من فعل (nocere) بمعنى: آذى إيذاءً، لأن الليل يؤذي الأعينَ بظلامه[20].

وهذه الطريقة لا تختلف عما ألفناه في قواميسنا وكتُب فقه اللغة العربية القديمة التي كانت لا تخلو من هذا النوع من التأصيل أو الاشتقاق. فكلمة: (عَقْل) عندهم من عَقَل الدابةَ إذا ربَطَها بعِقال، و(ثَقافة) من ثَقَّفَ العودَ إذا شَذَبَه وأزالَ شوائبَه واعوِجاجَه، والإنسانَ: هذَّبَه وعلَّمه، و(نَقْد) بمعناها

(19) وإن كان أصل هذه الكلمة نفسها من أصل عروبي سامي كما بيناه في: الودغيري. **العربيات المغتربات**، مرجع سابق.

(20) Isidore of Seville, *The Etymologies of* Isidore of Seville. (Cambridge, University Press, 2006).

الاصطلاحي في البلاغة والأدب جاءت من نَقْد الصَّيْرفي للدنانير وبَهرَجتِها بمعنى معرفة صحيحها من زائفها. و(الصَّفقة) بمعنى: إبرام البيع أو المعاملة التجارية، أصلُها من صَفَقَ له بالبَيْع أي ضربَ يدَه بيَدِ الآخَر علامةً على إتمام التعاقُد بينهما. و(الإنسان) سُمّي إنسانًا ـ كما زعموا ـ لأنه يَنسى، فهو إذن مشتقٌّ من (نَسِي)، أو هو من (إنْسِيان) أي (فِعْلِيان)، فيكون أصلُه من الإنس، كما في **اللسان**، و(آدم) اشتقُّوه ـ فيما قالوا ـ من أديم الأرض، و(القَلب) من التقلّب ... وهلمَّ جرّا.

ب ـ البحث في أصول الكلمات الخارجية بنوعَيْها؛ سواءً كانت هذه الكلمات مقترَضة من لغاتٍ أجنبية عن اللغة المدروسة، أم مشترَكة مع لغات تنتمي لأصل واحد كحال الساميّات أو اللغات الرومانية (Les langues romaines). وقد ركَّزت القواميس التأثيلية الأوروبية ـ ولاسيما قواميس اللغات الرومانية ـ على الناحيتين معًا، وإن كان أغلب مداخلها ووَحداتها القاموسية مأخوذٌ عن الأصل اللاتيني المشترَك أو من لغات أجنبية كالعربية والفارسية والتركية والإفريقية والآسيوية وغيرها، والجزءُ اليسير منها هو المأخوذ من لغات ولهجات محلّية أصيلة.

ج ـ البحث في الأصول القريبة والبعيدة على السواء. والبحث في الأصول البعيدة هو الذي أطلقَ عليه عبد الحق فاضل اصطلاح: **التَّرسيس** كما تقدَّم. وقد بيَّنا في بحث سابق كيف أن كلمة casanier الفرنسية جاءت من الإيطالية: casanière التي أخذتها بدورها من casana المستعملة في لهجةٍ بشمال إيطاليا، وهي أخذَتها من لهجة البندقية casna، المأخوذة بدورها من التركية (خَزْنة) التي استعارتها من العربية (خزينة) المشتقة من خَزَن يخزِنُ. فهذا الفعل العربي هو الأصل البعيد الذي مرَّ بمحطات عديدة قبل أن يصل إلى الفرنسية في مرحلته الأخيرة[21].

(21) كان اللغوي الفرنسي الشهير أندري مارتيني قد لام القاموسيّين التأثيليّين الفرنسيّين بصفة خاصة على تقصيرهم في البحث عن أصول الكلمات الفرنسية ووقوفهم عند حدود الأصلين اللاتيني أوالإغريقي في أبعد الحدود، وأعطى أمثلة من الكلمات التي لها أصول بعيدة وملتوية جدا تحتاج إلى==

د ـ البحث في أصول الألفاظ والمعاني على السواء؛ لا في أصول الألفاظ وحدها. فالباحثُ في العلاقة الاشتقاقية بين كلمتي (جَشِيش) و(دَشِيش)، وبين (أراقَ) و(هَراقَ)، و(جَبَذ وجذَب)، وفي كيفية تحوّل (ازتَحَمَ) إلى (ازدَحَم)، و(اصتَبَر) إلى (اصطبر)، وتحوّل تركيب (لا حول ولا قوة إلا بالله) بالنحت إلى (حَولَقَ)، يقوم بعملية تأصيلٍ لفظي من داخل اللغة الموصوفة. والباحث في معنى كلمةٍ من نحو: (مُعاوية) أو (عَدْنان) وأصل التسمية بهما[22]، يبحث في أصل اللفظ والمعنى معًا. والبحث في أصل التسمية يؤدِّي بالضرورة إلى البحث في أصل المعنى وتطوّر الدلالة، وهو أمر أساسي في التأريخ المعجمي. وكذلك الحال عند البحث عن أصل كلمة (Poubelle) بمعنى صندوق الأزبال أو سَلّة المهملات في الفرنسية. فهي في البداية أُخِذت من اسم عُمدة باريس الذي فرَض على سكّان المدينة عام 1884م أن يجمعوا الأزبالَ في صناديق ويضعوها أمام منازلهم، فاستعار صندوقُ الأزبال اسمَه من اسم عُمدة المدينة. فهذا تأصيل للفظ كما هو تأصيلٌ للمعنى.

وهذا ما ينطبق أيضًا على البحث في العلاقة الدلالية القائمة بين (القَيْن) بمعنى الحَدّاد، و(القَين) بمعنى: الصانع، و(القَين) بمعنى: العَبْد والخادم، و(القَينة) بمعنى: الأَمَة، و(القَينة) بمعنى: الماشِطة، و(القَينة) بمعنى المُغنّية،

= فريق متكامل من الباحثين من لغات عدة للكشف عنها. ومن الأمثلة التي ضربها كلمة éléphant التي تكتفي القواميس الفرنسية بردها إلى الأصل اللاتيني elephantus . بينما حاول قاموس تأثيلي إنجليزي ظهر سنة 1966 بعنوان: A comprehensive etymological dictionary of the english language لمؤلفه Ernest Klein الذهاب لأبعد من ذلك بكثير، فأعاد هذا الأصل اللاتيني بدوره إلى الإغريقية، ثم ربط هذا الأصل الإغريقي نفسه بلغات شرقية كالعبرية، والعربية (فيل)، والفارسية: (بيل). انظر:

A. Martinet : *Pourquoi des dictionnaires étymologiques ? in : La linguistique.* Vol .2. Fasc. 2 (Puf . Paris 1966).

(22) يقول ابن دريد فى **كتاب الاشتقاق**. ص291: «اشتقاق **معاوية** من قولهم عَوَت الكلبةُ فعوَت الكلابَ فهى مُعاويَة إذا عَوَوا معها». وقال فى عدنان، ص 31« وعَدْنانُ فعلان من قولهم: عَدَنَ بالمكان فهو يَعدِن عُدوناً وهو عادن، أى مقيم. ومنه اشتقاق المَعدِن، لِعُدون الذَّهب والفضّة وما أشبهه من الجوهر فيه. ومنه اشتقاق" جنَّات عَدْنٍ " أي دار مقام لعَدان: موضعٌ بتهامة».

والكلمات الأخرى المرتبطة بها اشتقاقيّا مثل: قانَ وقيَّنَ، ومُتقَيِّنٌ، والمعنى الجامع بينها، وفي أصل المعنى الأول الذي تفرَّعت منه كلُّ معاني هذه الكلمات عن طريق التوليد الدلالي مما يجرُّ بالضرورة إلى موضوع الحقيقة والمجاز، أو الوضع اللغوي الأول وما تلاه من أوضاع. وكذلك البحث في أصل المعنى الجامع بين قولهم(23): عبَرَ النهرَ: جازَه، وعبَرَ الطريقَ والسبيلَ: سلَكها، وعَبَرَ الرؤيا: فسَّرها، وعبَرَ الطيرَ: زجَرَها، وعبَرَ السَّفَرَ: شَقَّه، وعَبَرَ الكتابَ: تَدبَّرَه مع نفسه، وعبَرَ المَتاعَ والدراهِمَ: عرَفَ وزْنَها وقيمَتَها، وعبَرَ الكَبْشَ: ترَكَ صوفَه عليه سنةً، وعبَرَتْ عينُه: جرَتْ دمعتُه، وعبَرَ من الحُزْن: بكَى، وعبَرَ القومُ: ماتُوا. حين نُجري هذا النوع من البحث عن سلسة النسَب الذي يجمع أفرادَ كل حُزْمة من أمثال هذه الحُزَم، ونكشف عن شبَكة العلاقات الدلالية القائمة بين وحَداتها، وكيفَ تناسَلت المعاني بعضُها من بعضٍ بفعل الزمن والاستعمال وكثرة الانزِياحات، فنحن حينئذٍ نقوم بعملية تأصيلية، وهي جُزءٌ أساسي من التاريخ المعجمي.

وفي نهاية الأمر سنجد أن العملية التأثيلية المعجمية في مجملها، حسب هذا الاتجاه الذي يحاول أن يكون متوسِّعًا وشُموليًّا، تتلخص في الثُّنائيات الآتية:

1 ـ **التأثيل البعيد والتأثيل القريب**: أي البحث في الأصول البعيدة للكلمات ومعانيها (التَّرسيس)، إن أمكن ذلك، والاقتصار على أصولها القريبة إن تعذَّر الوصول إلى ما هو أبعد.

2 ـ **التأثيل الخارجي والتأثيل الداخلي**: الخارجي يبحث في أَصول الكلمات المقترضة من لغات أجنبية، أو اللغات واللهجات المشتركة والمنحدِرة من لغة أمٍّ واحدة (حالة التناظُر) والداخلي يعمل على تأصيل الكلمات أي ردّها إلى أصولها الاشتقاقية داخل اللغة المدروسة (التأصيل).

(23) قال أحمد بن فارس في **مقاييس اللغة** (بيروت، دار الفكر،1979): «العينُ والباء والراء أصل واحد يدل على النُّفوذ والمُضيّ في الشيء»

3 ـ التأثيل اللفظي والدلالي. الأول يبحث في تطور الصيغ اللفظية صوتًا وصرفًا، والثاني في أصول المعاني والدلالات والعلاقات القائمة بينها، مما أصبح يُدرس تحت اسم الحقول الدلالية والحقول المفهومبة، وتطورها داخل المعجم.

تطور العلاقة بين التأثيل والتأريخ المعجميّين :

ذهب عدد من اللسانيّين الغربيّين المحدَثين في دراساتهم وتعريفاتهم المختلفة لمفهوم التأثيل وموضوعه، إلى أبعد من هذا وأوسع، فأصبحوا يعتبرون أن البحث عن أصل الكلمة ومصدرها لم يعد يمثل في نظرتهم الجديدة لموضوع هذا العلم الذي كبُر وتضخَّم، سوى نقطة انطلاقٍ تَليها عمليةُ التتبُّع لحركة تطوّر الكلمات صيغةً وصوتًا، لفظًا ومعنًى، عبر المراحل المختلفة، مع ما يتطلبه ذلك من استشهاد على كل حالة بنصّ أو نصوص موثَّقة تُبيِّن سياقات استعمالها، وملاحقة دقيقة لمساراتها المختلفة، وكتابة سيرةِ حياتها بكل تفاصيلها. فللكلمات قَصَصٌ تَحكي ولادتَها ونشأتَها وانتشارَها أو انحِسارَها، انقراضَها أو استِمرارَها، استقرارَها في مكانٍ أو مجال، أو تنقُّلَها بين مواقع ولغات ومجالات، وارتباطَها بأشياء وأزمنةٍ وأمكِنة وأشخاص ومفاهيم وأدوات ووقائع وأحداث. وتتبُّع كل هذه الأمور والتفاصيل في حياة الألفاظ، من مرحلتها الجَنينية إلى حيثُ يتوقَّف عملُ الباحث، هو جوهر التأريخ المعجمي ولُبّه. يقول ماروزو في قاموسه: «التأثيلُ: علمُ نَسَبِ الكلمات [تَوالُدِها بعضِها من بعض]. فهو حسَب تصوّر القدماء، البحثُ عن معناها الحقيقي [كما يُفيدُه لفظُ: etymon اليوناني]، أما حسب تصوّر العلم الحديث، فإن نسَب الكلمة هو أن يُعاد بناءُ أصلِ الكلمة بالانطلاق من وضعها الحالي إلى أقدم حالة يمكن الوصولُ إليها»(24). بغض النظر عن كون هذا الأصل مستعارًا من لغة أجنبية أم متأصِّلاً من اللغة المدروسة نفسها. وأضاف **قاموس اللسانيات** لجان ديبوا وآخرين، أن «البحث عن جذر كلمة أو مجموعة كلمات، ليس هو الوظيفة الوحيدة لعلم التأثيل حسب

(24) J. Marouzeau :*Lexique de la terminologie linguistique, 3ème éd.(Paris 1951).*

اللسانيات الحديثة، ولكنه يقوم بتتبُّع الكلمة طيلةَ الفترة التي ظهرَ استعمالُها في اللغة، بكل ما لها من علاقاتٍ في مختلف المستوَيات، دون إهمال الناحية التأثيلية بمعناها الأصلي. وأولُ نوع من هذه العلاقات هو المتعلِّق بناحية الحقول الدلالية التي تكونُ الكلماتُ طرفًا فيها»[25].

أما العالِم التأثيلي الشهير بيير غيرو فقد لخَّص وظيفة التأثيل الحديث« الذي أصبح مستقلا» كما يقول، في الجوانب الأربعة الآتية[26]:

أ ـ «دراسة كيفية تكوُّنِ الكلمات، أي دراسة التطور التاريخي والعلاقة بين الشكل الأوَّلي [البِدائي] وما اشتُقَّ منه صرفيًّا [الشكل أو الصيغة] أو دلاليّا [المعنى]. فموضوعُ التأثيل ـ حسب هذا التصوّر الأول ـ هو البحث عن نسَب الكلمة أو عن الكلمة الأصلِ منذ تاريخ دخولها إلى لغة معيّنة. فكلمة timbre (طابع بريد) ـ مثلاً ـ يَرجع أَثْلُها إلى الإغريقية: tympanon (بمعنى: طُنبور)».

ب ـ «وهناك مسألةٌ ثانية: هي مشكلة **الاشتقاق** أو الأصل المباشِر للكلمة». ويقصد تأصيلَها واشتقاقَها داخل اللغة المدروسة.

ج ـ «ومن زاوية نظرٍ ثالثة، وهي التي تَسود حاليّا[27]، **فإن التأثيل يتطلَّب بالضرورة إيجادَ تاريخٍ كاملٍ للكلمة، وتوضيحَ كلِّ حلقاتِ مشتقاتها الدلالية والشَّكلية** [...] ومن خلال ذلك سنعرف ـ مثلاً ـ أن كلمة tympanon (الطُّنبور) قد أخذت معناها الجديد الذي تحمله اليوم كلمة timbre (أي: طابع بريدي)».

د ـ «التأثيل، من ناحية رابعة أكثر تجريدًا، هو دراسة تأثيلية للكلمات بواسطة مناهج وفرْضيات جديدة». وقد اقترح غيرو منهجًا يجمع بين الجانب التأثيليّ التاريخي للكلمات، ويسمّيه التأثيل الخارجي، وبين الجانب الذي يستند إلى النظام الصَّرفي الخاص بالكلمات في كل لغة، ويسميه التأثيل الداخلي.

(25) انظر: Dubois، مرجع سابق، مادة: Etymoloigie

(26) Pierre Guiraud : *L'étymologie* , Que sais-je ? , 4ème éd. (PUF, Paris 1979).

(27) أي في زمن المؤلف الذي توفي سنة 1983م.

وقد ظل التأثيل لقرون طويلة، منذ نشأته إلى بداية القرن التاسع عشر، غيرَ مرتبِطٍ ارتباطًا قويّا بالتاريخ المعجمي، إلا باعتبار أن عملية البحثِ في أصل الكلمة وحقيقة معناها، هي في حد ذاتها عملاً تاريخيّا؛ فلم يكن يُعنَى بالتتبُّع الدقيق لتاريخ الكلمات ومراحل تكوينها وتغيُّرها صوتًا وصيغةً ودلالةً، وإنما يكتفي في أغلب الحالات، بالمقارنات الخارجية لصيغ الألفاظ المتماثلة التي لا تسلَم من أخطاء وافتراضات غير واقعية، مع ذكر أقدم النصوص أو أهمها التي استُعمِلت فيها الكلماتُ دون تعمّق واستقصاء. لكن ظهور علم اللغة التاريخي والتطوّري، أدى إلى بروز تيار واضح يُعنى في عمومه بالجمع بين شِقَّي التأثيلِ والتأريخ معًا. رأينا ذلك في عدة أعمال أوروبية من أهمها: **القاموسِ التأثيلي للغة الألمانية** الذي بدأ الأخَوَان غريم العملَ فيه منذ 1838م، و**القاموس التأثيلي للغة الفرنسية** من تأليف أوغست شيلر (ظهر سنة 1862)، وقاموسِ ليطري(1863م) الذي تردَّد صاحبه في تسميته بين **القاموس التاريخي للغة الفرنسية** و**القاموس التأثيلي للغة الفرنسية**،وقاموسِ أوغست براشي **القاموس التأثيلي للغة الفرنسية** (1872م)، الذي استفادَ من هذه الأعمال السابقة وغيرها وأضافَ إليها خُطوات جديدة، ثم في قاموس هاتسفيلد ودارمستيتر (نهاية ق19م) المسمى: **القاموس العام للغة الفرنسية**، وكان أكثرَ تنظيمًا وإحكامًا ووعيًا بعلاقة التأثيل بالتاريخ المعجمي[28]، فضلًا عن **القاموس التاريخي للأكاديمية الفرنسية**. فما إن كانت إطلالةُ القرن العشرين حتى وجدنا أن الارتباط بين عُنصُرَي التأثيل والتأريخ قد وصلَ غايةَ الالتحام والتداخُل عند لغويّي المرحلة ومُؤثّليها، حتى أصبح بعضُهم يدعو إلى وضع كلمة (تأريخ) مكانَ (تأثيل) لأن التأريخ بمفهومه الشامل أصبح مستوعِبًا لأهم العناصر المكوِّنة للتأثيل. والتأثيل بمفهومه الجديد أصبح ركنًا أساسيّا في عملية التأريخ. وليس من باب الصدفة أن تظهر في فترة

(28) انظر حول هذه التجارب الباب الأخير من: عبد العلي الودغيري: ***القاموسية العربية الحديثة***. الدوحة/ بيروت، المركز العربي لدراسة السياسات، 2019.

واحدة (من 1918 إلى 1922م) عدةُ أصوات لعلماء كبار من المدرسة الفرنسية والسويسرية، تُلحُّ كلّها على الترابُط الضروري والقوي بين التأثيل والتأريخ المعجمي من نواحٍ عدة.

ففي البدايةً كتَبَ اللغوي الفرنسي الذائع الصِّيت أنطوان مابيه سنة 1918 مقالةً بمجلة **اللسانيات**، قال فيها:

« التأثيلُ لكلمة معيّنة معناه أن تُؤرِّخ لها في فترة محصورة بين زَمَنين »(29). فالتأثيلُ عنده يأخذ مفهوم التأريخ بما يَعنيه من تتبُّع لحياة الألفاظ منذ ولادتها وعبرَ مراحل تطوّرها إلى الوقت الذي يحدِّده الباحثُ بنفسه.

ثم عاد ثانيةً للموضوع في مكان آخر من كتابه: **اللسانيات التاريخية واللسانيات العامة** الصادر عام 1921م ليقول: «السؤالُ الذي يطرحه اللسانيّون عادةً بصيغة: ما هو أصلُ الكلمة؟ ليس له معنى محدَّد. **الشيءُ الأساسُ في كل قاموس تأثيليّ هو تحديدُ الطرُق والمَسارات التي تسلكها الكلماتُ [...] وفي الحقيقة، إن تغيّرات المعنى تُحدّدها ظروفُ الواقع [الفعل أو الحدَث[والأحوالُ المختلفة جدّا. ولكي تضع تأثيلاً لكلمة من الكلمات ينبغي عليك أولاً أن تعرف كيف دخَلت إلى اللغة الفرنسية، وما هو المجالُ أو الوسَطُ الذي استُعمِلت فيه؟[...] إن الموضوع الأهم في القاموس التأثيلي هو تحديدُ الطرُق أو السُّبُل التي سارت فيها الكلمة [...] والخطأُ الأساس الذي يمكن أن يَرتكبه مؤلفُ قاموسٍ من هذا النوع، هو أن يتحدث عن الاشتقاقات دون أن يذكر كيفَ، وأينَ، ومتَى حدَثَت؟ وأن يتحدَّث عن تغيّرات المعنى دون أن يهتم بظروفها التاريخية، ويُجهِد نفسَه في إيجاد أصلٍ أولٍ مشترَكٍ بين أكبر عدد ممكن من الكلمات، دون أن يُعنَى بالماضي الخاصِّ بكلِّ كلمة على حِدة»**[30].

(29) نشر أنطوان مابيه (Antoine Meillet) هذا المقال بعنوان: *A propos d'un récent dictionnaire étymologique du français* في مجلة: Bulletin de la société linguistique, 1918، ثم أعاد نشره ضمن كتابه الآتي ذكره في الهامش اللاحق.

(30) Antoine Meillet . *Linguistique historique et linguistique générale.* (Champion Paris 1921) p .292:

وفي الفترة ذاتها (أي سنة 1921م) صدر الكتاب الشهير لجوزيف فندريس **اللغة: مدخلٌ لساني إلى التاريخ** فوجدناه بدوره يعرِّف التأثيلَ فيقول: «العلمُ الذي يجعل موضوعَه دراسةَ المفردات، يسمى: التأْثيلَ Etymologie . **وهو يأخذ كل كلمة من كلمات القاموس ويحاول أن يضع لها شيئًا شبيهًا بالبطاقة العائلية، يسجّل فيها مِن أين جاءت؟ ومتى بدَأت؟ وكيف تم تكوينُها أو تأليفها؟ وما هي التقلّبات التي مرّت بها؟ إنه، إذن، علمٌ تاريخيٌّ**. يقوم بتحديد الصيغة الأُقدَم لكل كلمة قدرَ ما يكون مُتاحًا من المعلومات، ويدرس الطريقةَ التي تمَّ بها نقلُ الكلمة مع ما طَرأ عليها من تغيّرات في الشكل والمعنى»(31).

وفي السنة المُوالية (1922م) كتَب اللغوي السويسري والتر فون وَرْتبُورغ صاحب أكبر موسوعة تأثيلية للغة الفرنسية واللغات الرومانية التي صدرت بعنوان: **القاموس الفرنسي التأثيلي: تمثيلٌ للّذخيرة المعجمية الغالية الرومانية**(32) (أو **القاموس التاريخي للفرنسية واللغات الرومانية** كما عُرِف بين دارسيه) في عدة مجلدات، في تقرير هذه الفكرة نفسها وتأكيدها، عباراتٍ قوية وواضحة، يقول فيها: «منذ حوالي عشرين عامًا، أصبح تاريخ الكلمة في اللسانيات الرومانية (la linguistique romane) موضوعًا يثير اهتمامَ الباحثين شيئًا فشيئًا؛ في السابق كان البحث عن أصل الكلمة كافيًا، أما اليوم، فقد أصبحت اللسانياتُ تريد، بالإضافة إلى ذلك، أن تعرف الطريق الذي سلَكَته الكلمةُ، ومختلفَ التغيّرات التي طرأَت عليها. **إن كلمة: étymologie التي كانت تُستعمَل عادةً لتعيين المنهج القديم لهذا العِلم لم تعد اليوم مناسِبةً لهذا الموضوع العلمي الذي يتوسّع بشكل سريع، لذا وجبَ تعويضُه بلفظ: تاريخ الكلمة**»(33).

---

(31) *Joseph Vendryes . Le Langage, introduction linguistique à l'histoire,* (Paris 1921) p :206

(32) *Französisches etymologisches Wörterbuch: eine Darstellung des galloromanischen Sprachschatzes (FEW)* ou: (*Dictionnaire étymologique du français : une représentation du trésor lexical gallo roman* .

(33) Kurt Baldinger . *L'étymologie, hier et aujourd'hui.* In :Cahiers de l'Association internationale des études françaises, (Paris 1959, n°11) pp. 233-264.

ويعلق كورت بَلدِنْجر اللغوي السويسري ـ وهو أحد تلامذة وَرتبرغ المتأثِّرين به والمشاركين له في تحرير بعض مواد قاموسه ـ على هذا الكلام، مستعمِلاً مصطلحًا جديدًا، قائلاً: «معنى ذلك أنه بجانب التأثيل الذي يسمى: **تأثيل الأصل** *L'étymologie d'origine*، أصبح القرنُ العشرون يطالب ب **تأثيل تاريخ الكلمة** *L'étymologie de l'histoire du mot*»[34]. ويقصد أن اللسانيات الحديثة أصبحت تطالب بأن يتحول التأثيلُ من مجرد البحث في أصل الكلمة والمعنى وأصل التسمية، إلى نوع من التأريخ المعجمي الذي يتتبّع كل أطوار الكلمة، من مختلف جوانبها، منذ ظهورها إلى الفترة التي يحدِّدها الباحثُ بنفسه. ـ ثم يُضيف: إن «**التأثيل في مفهومه الحديث يعني السيرة الذاتية للكلمة، أما البحثُ عن ميلاد الكلمة الذي كان التأثيلُ القديم يجعل منه موضوعَه الوحيد، فقد أصبح مجردَ نقطةِ انطلاقٍ**»[35].

وفي سنة 1938م صدر **القاموس التأثيلي للغة الفرنسية** الذي ألفه ألبير دُوزا، فكتب بدوره في مقدمته قائلاً: «علم التأثيل معقَّد جدّا، فهو لا يقف عند حدود البحث عن الأصول الأوَّلية للكلمات المُكوِّنة لمعجم لغة معيَّنة. إنما غايتُه بالأساس هي أن **يُعيد كتابةَ تاريخ الكلمة**. فاللفظ لا يتوقف عن التطور شكلًا ومعنًى بمجرد دخوله للغة. وعلى العكس من ذلك، حين نصل إلى وضع الأصل اللاتيني أو الإيطالي أو الإنجليزي للكلمة الفرنسية، فإن ذلك لا يعني أننا قُلنا كلَّ شيء. إن الفضول العلمي يدفعنا للذهاب إلى أبعدَ من ذلك (...) ومعالجة عملٍ من هذا القبيل تتطلَّب في الحدود الدنيا من تاريخ اللغة المدروسة: معرفةَ تكوينِ اللفظ، والقوانينِ الصوتية التي تحكَّمت في تغيُّرات النطق، والتحوّلاتِ التي طَرَأت على الشكل، ثم تغيّراتِ المعنى»[36].

(34) Ibid

(35) Ibid .p 240

(36) Albert Dauzat . *Dictionnaire étymologique de la langue française : Etymologie.* (Paris , Larousse 1938)

لكن فكرة التوسُّع في مفهوم التأثيل على هذا النحو، لم يكن المقصودُ بها أن يُصبح التأريخُ جزءًا من التأثيل، وإنما العكس من ذلك تمامًا، وهو أن يرتفع عملُ القواميس التأثيلية إلى شيءٍ شبيهٍ بالتأريخِ المعجمي أو يصبح جزءًا أساسيًّا منه، يساعده في مهمته ولا يستغني عنه في كل مراحله، باعتبار أن التأريخ المعجمي ليس مجرد تسجيلٍ كرونولوجي يكتفي بكتابة أرقام ميلاد كل كلمة ووفاتها، وإنما وظيفتُه أوسعُ وأعمق من ذلك بكثير، تتلخَّص في دراسة حياة الألفاظ والمعاني في بُعدَيها الزماني والمكاني، وتتبّعِ جميع الجزئيات والتفاصيل الدقيقة من الجوانب المختلفة المتعلقة بكل أطوارها منذ نشأتها إلى النقطة التي يتوقَّف فيها البحث. وهذا ما أرادت القواميس التأثيلية االفرنسية الحديثة أن تُشارِك فيه وتتكفَّل بجزءٍ كبير منه مُساهمةً منها في التأريخ المعجمي الشامل، حتى لا تبقى رهينةَ موضوعها القديم وهو البحث عن الأَصل الأول للكلمات. وقد بدأت معالمُ هذا التوجُّه في مناهج القواميس التأثيلية تُرسَمُ منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر، إلى أن أصبحت ـ كما قلنا قبل قليل ـ واضحةً جَليةً لدى الكثير منها خلال القرن العشرين[37].

---

(37) ومنها القواميس التأثيلية لكل من شيلر وبراشي وليطري ووالتر فون ورتبرغ التي ذكرناها من قبل، ومنها: **القاموس التأثيلي للغة الفرنسية** لأوسكار بلوخ ووالتر ورتبرغ الذي ظهر سنة 1932م. و**القاموس التأثيلي للغة الفرنسية** الذي وضعه دوزا Dauzat (1938م)، فهو على اختصاره يبدأ كل مدخل من مداخله بذكر تاريخه، ثم أثله أو مصدره متبوعًا بمعناه على هذا النحو: (الكلمة مثل: Clame+ تاريخ ظهورها في الفرنسية: ق 16م + مقترضة من اللاتينية: calamus + معناها: قصَب). وهذا القاموس نفسه أعيد طبعه بمشاركة ج. ديبوا وهنري ميتيران سنة 1964م و1993م، تحت عنوان: **القاموس التأثيلي والتاريخي للغة الفرنسية**، ثم أعيد طبعه مرة أخرى سنة 2001 بعنوان: *Dictionnaire d'étymologie* (**قاموس التأثيل**). ولم يشذ عن هذه الطريقة قاموس جاكلين بيكوش الذي نشر بعد ذلك بعنوان: **قاموس تأثيلي للغة الفرنسية** رغم طريقته ومنهجه الخاص في التأثيل. ولا **القاموس الإيتيمولوجي** لجان ماثيو روزيJ.Mathieu-Rosay (1985م)، وقاموس إيمانويل بومغرتني وفيليب مينار Emmanuèle Baumgartner et Philippe Ménard الذي طبع سنة 1996 بعنوان: **قاموس تأثيلي وتاريخي للغة الفرنسية**.... والقائمة طويلة.

أسئلة التأريخ المعجمي وأهمية التأثيل:

بناءً على ما سبق، يمكن القول: إن العملية التأثيلية، المُكوَّنة من الأبعاد المختلفة التي ذكرناها، لا غنى عنها في كتابة تاريخ معجم لغةٍ من اللغات. فهي رُكنٌ ضروري من أركانها. فنحن حين نريد التأريخ للفظٍ معيَّن لا بد أن نسلك الخطوات التي تتلخَّص في الإجابة عن الأسئلة الآتية:

أولاً: مِن أين جاء هذا اللفظ؟ هل من اللغة المدروسة فنردُّه إلى أصله فيها، أي أصله الاشتقاقي وشكله قبل أن يتحوَّل منه إلى غيره، أم من لغةٍ أجنبية فنتتبَّع تاريخَه كلَّه أو ما عُرِفَ منه؟

ثانياً: متى ظهر ذلك اللفظُ واستُعمِل في معجم اللغة المدروسة؟

ثالثًا: ما هي صيغتُه الصَّوتية والصرفية التلفُّظّية الأولى التي ظهر بها، وكيف تطوَّر من هذه الناحية خلال مراحل حياته كلِّها حتى يمكن ربطُ حالته الأولى بالأخيرة ومعرفة التغيّرات التي طرأت عليه؟

رابعاً: ما هو المعنى الأول الذي ارتبط بالظهور الأول للكلمة؟ وكيف تولَّدت منه المعاني الأخرى عبر مجالاته الاستعمالية المختلفة وشبكتِه الدلالية وعلاقاته مع بقية الوحدات المعجمية، باعتبار أن المعجم عبارة عن بنيةٍ ونظامٍ وليس مجرد وحدات مُفكَّكة أو لائحة من الكلمات المُنعَزِلة التي لا رابطَ بينها؟

خامساً: ما هي الظروف الاجتماعية والتاريخية والثقافية (والاقتصادية والسياسية أيضًا) المحيطة بنشأته وحياته؟ وبيئته والمنطقة التي ينتمي إليها (الجغرافية اللسانية)؟ فكلُّ لفظ في اللغة يحمل معه تاريخًا لمرحلةٍ معينة وملامح من بيئته ومجتمع الذي نشأ فيه[38].

(38) يقول ألبيرا دوزا في مدخل قاموسه التأثيلي للغة الفرنسية الذي ذكرناه من قبل: « ينبغي أولاً أن نعيد بناء تسلسل الكلمة داخل اللغة من ناحيتي اللفظ والمعنى، والرجوع بها إلى الفترة التي ظهرت فيها لأول مرة، باحثين بعد ذلك عن المجال الجغرافي الذي استعملت فيه عند ظهورها الأول: في أية ناحية من بلاد فرنسا ظهرت؟ في أية لهجة محلّية؟ في أية لغة من اللغات الرومانية؟ ثم إن إضافة معطيات ==

سادسًا: ما هي الشواهدُ والأدلةُ النَّصِّية على كل هذه الجزئيات التي تُستَشَفُّ منها طرائقُ الاستعمال والتداوُل؟

ومن هذه القائمة من الأسئلة الأساسية يتضح الترابط القوي بين التأثيل والتاريخ المعجميّين. وأن السؤال الأول الذي يعتبر الحجرَ الأساس الذي تنطلقُ منه العملية التأريخية سؤالٌ تأثيلي بامتياز لا يمكن تجاوزُه أو تخطّيه بأي شكل.

ولو أردنا الآن أن نضرب مثلاً على العلاقة المتداخلة بين التأثيل والتأريخ المعجميّين وأهمية الأول للثاني، لما وجدنا أحسن من كلمة (خَرْشَف / خَرْشُف / خَرشُوف) التي يكشف البحث في أصلها، حسب المتوفِّر من النصوص والمعلومات، أنها مرّت بمراحل التطور الآتية:

1 ـ أول ظهور لها في الفصحى القديمة كان في صيغة (حَرْشَف) بالحاء المفتوحة (ويجمع على حَراشِف) بمعنى: نباتٍ خَشِن الشَّوكِ. ومن المؤكَّد أن ميلاد هذه الصيغة كان قبل سنة 288 ق. هـ/ 342م. لأنه في هذه السنة وجدنا شاهدًا على استعمالها بمعنى استِعاريّ وهو الرَّجَّالة في الحرب تشبيهًا لهم في اجتماعهم ورفعِهم الرِّماحَ بهذا النَّبات. وهذا الشاهدُ هو بيت شعري للأعور

== الجغرافية اللسانية إلى المعطيات التاريخية، تجعلنا نحصل على معلومات قيّمة حول الكلمات التي تعود إلى ما قبل المرحلة اللاتينية (أي إلى اللغة التي كانت مستعمَلة في بلاد الغال قبل اللاتينية) وما تزال مناطقُ قديمة تحتفظ بها، وكذلك الكلمات التي تعود إلى لغة الغال في الوسط والغَرب والجِرمانية التي جاءت من الشمال والشرق، والنورماندية في منطقة النورماندي. ونفس الشيء بالنسبة للكلمات المستعارة من لغات الجيران وقد ظلت إلى عهد قريب تدخل عن طريق الحدود. فالتاريخ السياسي والاجتماعي يبيّن لنا كيف كانت علاقاتُنا مع البلاد المجاورة، وكيف أن الحروب الصليبية قد اقتضَت وجودَ مقترَضات بيزنطية وعربية، وحربُ إيطاليا استدعت وجودَ كلمت إيطالية، وحرب المئة عام إلى وجود ألفاظ ألمانية، كما يذكرنا بالتِّقنيات التي نحن مدينون بها لأصحابها (مع الألفاظ الخاصة التي جاءت بها)، من أي شعب جاءت؟ وفي أية فترة؟ فألفاظ الفنون الجميلة لإيطاليا، وألفاظ فنّ الحرب لإيطاليا وألمانيا، والجيولوجيا والعلوم الأخرى لألمانيا، وألفاظ الحياة البرلمانية واللباس والرياضة لأنجلترا ... وهلم جرّا. أما أكثر ألفاظ البحر المتوسط فقد جاءت إلينا عن طريق الإيطالية والبروفنصالية، ثم صَعِدت نحو باريس مع الطريق التجارية الكبرى عبر نهر الرون Rhône وبحيرة الصُّون Saône».

الأزدي[39] الذي تُقدَّرُ وفاتُه بالسنة المذكورة تقريبًا. وبهذا المعنى ذاته استُعمِل في شعر امرئ القيس[40] (ت.80 ق.هـ/ 544م). ثم تولَّدت من المعنى الأول للكلمة معانٍ أخرى، منها (الحَرَشَف) بمعنى ضربٍ من السَّمَك (الأحْرَش)، أو فُلُوسِ السَّمَك التي تكونُ على ظهره (أو قِشرته الحَرَشاء)، وبمعنى دوائر في شكل الفُلُوس أو النقود الصغيرة الفِضِّية، وبمعنى ما يُزَيَّنُ به السِّلاحُ من فُلوسٍ فِضِّيّة، وبمعنى الحِجارةِ تكون على شطِّ البحر (وهي ليس مَلساء)، والجرادِ الكثير[41] (لعله بسبب منظره الذي يبدو من بعيد وكأنه أحراشٌ منتشِرة).

2: مرحلة تحولِّها على ألسنة العامة في الأندلس إلى صيغة جديدة وهي (خُرْشُفٌ) للدلالة على النبات الخَضراوي الشائِك الذي أصبح الناسُ يستعملونه في الطبخ. قال الزُّبيدي وهو من أعلام القرن الرابع الهجري : «ويقولون للنَّبت الكثير الشَّوكِ المُنبَسِطِ بالأرض: **خُرْشُف**. قال محمد : والصوابُ: **حَرْشَف**. وقال أبو نَصر: والحَرْشَفُ نباتٌ خَشِنُ الشَّوك. وقال أبو علي: هو الحَرْشَفُ. ولذلك قيلَ للرَّجّالة في الحَرب: حَرْشَف تشبيهًا في اجتماعهم ورفعِهم الرّماحَ بهذا النَّبْت...»[42].

---

(39) وهو قوله :

لاقَى جَذِيمةَ في جَأْواءَ مُشْعَلةٍ   فيها **حَراشِفُ** بالنِّيرانِ تَرْتشِقُ

(40) وهو قوله :

كأنهم حَرْشَفٌ مَبْثُوثُ   بالقاعِ إذْ تَبرُقُ النِّعالُ

والنَعْل : من الأرض : الغليظةُ في استواء. هكذا أورده أبو بكر الزبيدي في **لحن العوام** وقد استشهد به على مجيء الحَرْشَف بمعنى: الرَّجّالة في الحرب. وفي **اللسان** لابن منظور: ورد الشطر الثاني بصيغة : (بالجَوِّ إذ تَبرُقُ النِّعالُ) ، وعلى هذا فسرت الحرشَف بالجراد .

(41) انظر في هذه المعاني: **لحن العوام** للزبيدي، و**لسان العرب**، و**معجم الدوحة التاريخي** مادة (حرشف) النشرة الإلكترونية التجريبية 2018 .

(42) أبو بكر محمد بن حسن الزبيدي. **لحن العوام**. تحقيق رمضان عبد التواب (القاهرة، مكتبة دار العربية، 1964) ص 37.

3 ـ مرحلة تحوّل هذه الصيغة الأخيرة بدورها إلى صيغ أخرى في الغرب الإسلامي وبقية البلاد العربية، فأصبحنا نجدها في عدد من كتب المفردات النباتية المغاربية والأندلسية بأشكال مختلفة منها: خَرْشَف، وخُرشُوف، أو خَرشُوف بفتح الخاء وضمها[43].

4: مرحلة انتقالها عبر الأندلس إلى اللغات الأوروبية، فهي تعرف في الإسبانية والبرتغالية باسم:alcarchofa ، وفي الإيطالية: carcioffo، وفي الفرنسية: artichaut، ولها صيَغٌ أخرى في هذه اللغات وغيرها.

5: مرحلة قيام قاموس إلياس بُقطُر الثنائيّ اللغة (صدر عام 1928م) بتعريب artichaut الفرنسية، فاستعمل في مقابلها صيغتين جديدين لم تكونا معروفتين من قبل، على الأقل فيما استطعنا الاطلاع عليه من نصوص، وهما:"أرض شَوكي" و" أردِشُوكة"، وقال إن هذا النبات يُعرَف في مصر باسم (خَرشوف)، وفي أرض البربر (المغرب) باسم (القَنّاريّة)[44]. وقد أكد مارسيل دوفيك[45] أن الصيغتين اللتين أتى بهما بُقطُر لم يجد لهما أثرًا في العربية، وإنما هما

(43) انظر: **حديقة الأزهار** للغساني، وقد ذكرها بالخاء والحاء معًا في مدخلين مستقلين، وفسَّر ماهية النبات بقوله :«بستانيٌّ وبريّ، وأنواعه كثيرة. فالبستاني هو القنّارية، والبريّ تحته أنواع منها: الحَرشُف المعروف الذي يُطبخ به اللحمُ وتؤكل عَسالِجُه ورؤوسُه ». ونقل بيدرو دي ألكالا عن لهجة أهل غرناطة أنها كانت تُنطق (الحَرشوف)، وكتبها ابن بكلارش الإسرائيلي الأندلسي(ق5هـ) في مؤلفه الطبي: **المستعيني** بصيغة: الحَرشُف. ودخلت إلى **المعجم الوسيط** بصيغة: خُرشُوف. وانظر :

R.Dozey & W.H.Engelmann .*Glossaire des mots espagnols et portugais dérivés de l'Arabe* (Leyde 1869) .

وانظر أيضا:

R.Dozey .*Supplément aux dictionnaire arabes (*Leyde 1881).

(44) انظر: . Ellious Bocthor .*Dictionnaire français arabe* (Paris,1928) ، والقنّارية في الحقيقة استعمالٌ محلّي في المغرب يُطلق على نوع من الخرشوف وهو أكثر شوكاً منه، كما شرح الغساني.

(45) Marcel Devic . *Dictionnaire étymologique des français d'origine orientale,* (Paris 1876).

مجرد تمثيلٍ كتابي للفظ الإيطالي: articioco, articiochi المأخوذ من العربية (خَرشُف/ خرشوف).

وربما يبدو هذا التحول الصوتي من الحاء إلى الخاء في الكلمة الأصلية من الصعب فهمُه، ولكن السبب في الحقيقة بسيط جدّا، ذلك أنه وقع على أرض الأندلس حيث تأثَّرت العربية الشفوية باللغة المحلّية. وقد رأينا بالمشاهدة والمعايَنة كيف أن الإسباني أو الإيطالي إذا أراد أن ينطق صوتَ الحاء العربية حوَّله إلى خاء، فيقول (خبيبي) عوض: (حبيبي). وهذا ما يفسِّر بكل بساطة ما طرأ لكلمة (حَرشَف) فأصبحت على لسان العامة المتأثر بالإسبانية (خَرشَف)، أما بقية التحولات من مدّ حركة الشين وضم الخاء ... الخ. فأمر مألوف ليس فيه ما يسترعي الانتباه.

6 ـ ثم جاءت بعد بُقطُر قواميس حديثة التقَطت الصيغتين اللتين أتى بهما فعملت على ترويجهما في العربية الحديثة. منها قاموس البستاني: **محيط المحيط** (طبع سنة 1870م) الذي أدخل كلمة "أرضي شوكي" وأضاف إليها صيغة (أرضيّ) المختصرة[46]، و**تكملة** دوزي (طبعت سنة 1881م) وقد ظهرت فيها الصيغتان معًا: (أرض شَوكي) و(أردِ شَوكة). على أن **قاموس مارسيل**[47] الذي ظهر بعد كتاب بُقطُر بقليل (1837م) استعمَل في ترجمة اللفظ الفرنسي صيغتَي: خَرشوف، خَرشُف، وأضاف إليهما صيغة جديدة وهي: **كَرشوف**. وواضح أن هذه الصيغة الأخيرة مأخوذة بدورها من الإسبانية أو الإيطالية.

هذا التتبّع الذي قُمنا به للكلمة في تطوّرها الصوتي والشكلي والدلالي، يُعدُّ ضربًا من التأثيل الذي يتجاوز بمفهومه الحديث البحثَ عن أصل الكلمة

(46) وقال في تعريفها: «نباتٌ له ثمرٌ يُؤكَل، يعرف في مصر بالجنّارة، وفي المغرب بالقَنّارة (كذا)». والصواب أنه في المغرب يُستعمل اللفظان معا: الخُرشوف، والقنَارية بالمعنيين المذكورين في الهامش السابق.

(47) Jean-Joseph Marcel . *Vocabulaire français arabe des dialectes vulgaires africains d’Alger, de Tunis, de Marok et d’Egypte* (Paris 1837).

إلى البحث في تطوّرها من كل ناحية، لكنه في الوقت نفسه يتضمَّن تأريخًا لها، أو بعبارة أخرى: هو تأريخ يقوم فيه التأثيل بوظيفة أساسية.

وبجانب ما ذُكِر، تظهرُ أهميةُ البحث التأثيلي في التأريخ للمعجم وثمرتُه أيضًا في جوانب أخرى، منها:

ـ فهم معاني الكلمات وكيفية استخدامها فهمًا دقيقًا. فتفكيكُ الكلمة إلى مكوِّناتها وأجزائها وردُّها إلى أصلها يقودان إلى معرفة اشتقاقها(48). تمامًا كما يحدث عند تفكيك اللعبة إلى أجزائها ومكوِّناتها، فذلك يُعلِّم الأطفال كيفية تركيبها واستعمالها الاستعمالَ الأمثَل.

ـ التمييز بين الأصيل والدخيل في اللغة المدروسة. وتُبنَى على ذلك أشياء في الصرف والإعراب في حالة العربية.

ـ معرفة العلاقة بين اللغات وثقافات الشعوب وحضاراتها، وبين اللغة الواحدة بلهجاتها المختلفة. وما يُبنى على ذلك من أمور تاريخية مهمة.

ـ معرفة تاريخ الأشياء والمسمَّيات والأفكار والاختراعات والأدوات والصناعات والفنون والتقنيات... الخ.

ـ الربطُ بين الكلمات المفروض أنها تشترك في أصلٍ بعيدٍ، أو تجميعُها تحت مدخل واحد. وهذا ما نتمنَّى أن يحصل في مراحل متقدِّمة من التأريخ للمعجم العربي. مثاله: الربطُ بين الكلمات التي حصل فيها قلبٌ مكانيٌّ نحو:(جَبَذَ) و(جَذَب)، و(أيس) و(يَئِس)، و(خُفّاش) و(خُشّاف) للطائر اللَّيلي المعروف.

(48) تتجلى أهمية تفكيك الألفاظ بصفة أوضح في اللغات الأوروبية ذات السمة الإلصاقية التي تتكوَّن عادة من عدة أجزاء مركبة بعضها مع بعض ولاسيما في ألفظ العلوم والاصطلاحات التقنية.

ـ الربطُ بين الكلمات التي وقع فيها إبدال، مثل: (اجترَّ) و(اشتَرَّ)، و(دَشيش وجَشيش)، و(أحراشٌ) و(أحراجٌ)[49]، و(مُجْشَر) و(مَدْشَر)، و(دَلاَّعٌ) و(دَلاَّح)[50].

ـ أما أهميتُه في ترتيب المداخل بالقاموس اللغوي الاشتقاقي، فلا تخفى. فترتيب لفظ (تِلِفون) في (ت ل ف و ن)، أو (بِنيسيلين) في (ب ن ي س ي ل ي ن)، يأتي نتيجة تأكدنا من أصلهما الأعجمي، خلافًا للألفاظ العربية الأصيلة التي تُرتَّب حسب جذرها الاشتقاقي. فالاختلاف في أصل الكلمة واشتقاقها يؤدي إلى الاختلاف في مكان ترتيبها بالقاموس. وقد اختلفوا في الأصل الاشتقاقي لكلمة (تَوْراة)، فاعتبرَها بعضُهم من أصل عربي وذهب إلى أنها على وزن تَفعِلة في لغة طَيِّءٍ التي تقول في تَوْصِيَة (تَوْصَاة)، فهي من (وَرَّى الزِّنادَ وأوراها تَورِيَةً): أشعلَها، أو من فَوْعَلة مثل (حَوْصَلة)، فأصلُها (وَوْراة) على وزن فَعْلاء من وَرّاهُ إذا سَتَرَه وأخفاه، ثم قُلِبَت الواوُ الأولى تاءً. وفي الحالتين تُرتب في (وري) كما في **اللسان** و**القاموس** و**التاج**[51]. واعتبرَها آخرون من أصل عِبْري، وفي هذه الحالة تُرتَّب في (ت و را ة)، كما في *الوسيط*. على أن الأب مرمرجي الدومنكي في: **المعجمية العربية** اتَّجه إلى ردِّ أصل الكلمة إلى الثنائي (أرْ) حسب رأي أصحاب النظرية الثنائية وقد كان من دعاتها، مقارنًا إياها بنظائرها في الساميات. ومَن أخذَ بمذهبه عليه أن يرتِّبها في (أ ر) الثنائي. وقد اضطربت قواميسُنا القديمة والحديثة في ترتيب كثير من الألفاظ التي من هذا

(49) كلمة: أحراج مستعملة حديثًا في عدد من اللهجات العربية بمعنى: أحراش، وهي مجرد صيغة متغيِّرة منها.

(50) الصيغة الأولى قديمة في العربية وتدل على نوع من البطيخ، والصيغة الثانية هي المتداولة في العربية المغربية بمعنى البطيخ الأحمر، وهي متحوِّلة منها.

(51) وفيه نقل الزَّبيدي كلام ابن الطيب الشرقي الفاسي في **حاشيته على القاموس** ونصُّه:« وقد تعقَّبَ المحقّقون قولَهم بنصّه، وقالوا هو لفظٌ غيرُ عربي، بل هو عبرانيٌّ اتفاقًا، وإذا لم يكن عربيًا فلا يُعرَف له أصلٌ من غيره، إلا أن يقال إنهم أَجرَوه بعد التعريب مُجرى الكلِم العربية، وتصرَّفوا فيه بما تصرَّفوا فيها ».

النوع، إذ وجدنا **المعجم الوسيط** على سبيل المثال يرتّب كلمة (خُشَافٌ) المُعرَّبة من الفارسية (خُوش آب) بمعنى: شراب من التِّين والزَّبيب، في (خ ش ف) وكأنها كلمة عربية أصيلة. لكن **معجم اللغة العربية المعاصرة** رتَّبها في (خ ش ا ف) باعتبار أصلها الأعجمي. وهو الصحيح. وجاءت كلمة (قادُوس)، وهي أعجمية، في القاموسين معًا تحت مدخل (ق د س) فوضعت بجانب: قُدُس، وقَدَّسَ وقُدسية، وقَداسة، وتقديس...الخ، ولا علاقة بين هذا وذاك من حيث الأصل. والأمثلة كثيرة.

ـ ويظهر الأثرُ التأثيلي أيضًا في ترتيب الكلمات المتجانِسة لفظًا المختلفة أصلاً ومعنًى. مثل: (كَبْل) العربية بمعنى القَيْد (من كَبَلَ يَكْبِلُ)، و(كَبْل) الأعجمية المعرَّبة بمعنى: الحَبْل الغليظ، وهي من (câble). والترتيب القاموسي يقتضي الفصل بينهما بوضع كل منهما في مدخل خاص أو برقمين مختلفين. ونحوُها (أطلَس) العربية بمعنى الثوب الخَلَق واللّص والذِّئب والأسوَد والوَسِخ (من طَلِس)، و(أطلَس) الأعجمية من (Atlas). وكذلك الأمر في (بُركان) العربية، جمع بُرْكة بمعنى طائر مائيّ أبيَض، فتُرتَّب في (ب ر ك)، و(بُركان) من ((Volcan الأعجمية، وترتَّب في (ب ر ك ا ن)[52].

وقد اعتمد **معجم الدوحة التاريخي** قاعدةً في ترتيب الألفاظ الأعجمية تقوم على الفصل بين المقترَضات التي ظلت على حالها لم يُشتقّ منها شيء، وتلك التي كوَّنت لها أسرةً اشتقاقية، مثل (لِجام) التي قيل إنها فارسية معرَّبة، ولكنها أصبحت أشبه ما تكون بصيغة عربية خالصة فاشتُقَّ منها كلماتٌ مثل: ألجَمَه ولجَّمه وتَلَجَّمَ ومُلجَمٌ. وكذلك لفظُ (برنامج) الذي قالوا إنه معرَّب (برنامه) الفارسي. فقد اشتقّوا منه: بَرمَجَ ومُبرمِجٌ ومُبَرْمَج وبَرمجَةٌ وبَرْمجَيّات، ومن أجل

(52) هذا هو الأصل في ترتيبها حسب أصلها الاشتقاقي، لكن هذا لا يمنع من إعادة ذكرها في مكان آخر مساعدة للقارئ مع استعمال طريقة الإحالة. فلا مانع مثلا من أن يعاد وضع (بُركان) ذات الأصل الأجنبي في (ب ر ك) مرة ثانية، مع الإحالة لمكانها الأصلي في (ب ر ك ا ن).

ذلك رُتّب كل واحد من هذين اللفظين في موضعين اثنين: الأول: وفيه تُعرَّف الكلمتان، في (ل ج م) على توهُّم زيادة الألف، و(ب ر م ج)، على توهّم زيادة الألف والنون. والموضع الثاني: رُتِّب فيه اللفظان وما شابَهَهما بحسب الحروف كلها دون تعريف، مع الإحالة على الموضع الأول الذي ذُكِر فيه التعريف. أما الكلمات الأخرى التي ظلت مستقلة بنفسها ولم يُشتقَّ منها شيء فتُرتَّب في مكانٍ واحد باعتبار أن جميع حروفها أصلية، مثل (خَندريس) التي رُتِّبت في مكان بين (خنخن) و(خندف).

وقد سبق لي أن بيَّنت في بحث آخر[53]، أن هناك قواميس تأثيلية فرنسية، ومنها **القاموس التاريخي للغة الفرنسية** الذي أصدرته دار روبير بإشراف ألان ري[54]، و**القاموس الإيتيمولوجي** لنيكول بيكوش[55]، حاولت ترتيب المداخل حسب أصولها التأثيلية بضم كل كلمة إلى عائلتها في الخُطوة الأولى، وترتيب الأُسَر المعجمية المنتمية لعائلة واحدة تحت الكلمة التي تُمثِّل رأسَ الأُسرة ترتيبًا ألفبائيًّا، في الخطوة الثانية. وأما أغلبية القواميس التاريخية الفرنسية والأوروبية الأخرى، فتُرتَّب مداخلُها ـ كما هو معلوم ـ ترتيبًا ألفبائيّا عاديّا كسائر القواميس الأخرى.

التأثيل ودرجاتُه في القوة والضعف:

ظل التأثيل زمنًا طويلاً لا يخضع لضوابط منهجية أو قوانين معروفة، ولا حُدود فيه بين ما هو ذاتيّ وموضوعي، فضاءً مفتوحًا تُحلِّق فيه أجنحةُ الخيال بلا قيود، ويتَّسِع لكل الافتراضات والاحتمالات، وتمتزج فيه الحقائقُ والخرافات والأساطير بكل ألوانها وأطيافها. ولكن تطور المعارف ومناهجِ العلوم في القرون الأخيرة، جعل القاموسيّين المحدَثين يحاولون التخلّص من الفوضى

---

(53) انظر الباب الثالث من : الودغيري. *القاموسية العربية الحديثة*.

(54) Le Robert . *Dictionnaire historique de la langue française* , dirigé par : Alain Rey (Robert, Paris 1998).

(55) Jacqueline Picoche . *Dictionnaire étymologique du Français (*Robert, Paris 2002).

العارمة التي اتَّسَمَ بها التأثيلُ القديم، وتأطيرَه بمنهج جديد يرتقي به إلى مستوى العلوم الأخرى. وقد فتحَ آن تيرغُو هذا الطريقَ منذ القرن الثامن عشر، بأن نشرَ في موسوعة ديدرو بحثًا قيِّمًا مشهورًا[56] انتقَد فيه أشكالَ التأثيل القديمة، واستنبطَ عشرين قاعدة أو معيارًا دعا التأثيليّن إلى الاستفادة منها، وختَمها بقاعدة عامة فقال: « القاعدةُ العامة التي تشمل كل هذه القواعد السابقة التي ذكرتُها، هي أنّي أدعوكم لأن تشكُّوا كثيرًا. فليس هناك ما نخافُ منه [...] أليس الوقوفُ عند حدود ما هو مؤكَّد أجدى بكثير من المضيِّ إلى ما هو أبعدُ؟».

ولكن التطور الحقيقي الذي عرفه علمُ التأثيل هو الذي جاء نتيجة ظهور علم اللغة التطوّري والتقابُلي واكتشاف القوانين الصوتية المستنبَطة من المقارنة بين عدد من اللغات، من جهة، ثم نتيجة التطور الذي عرفته مناهج علوم الطبيعة والحياة وغيرها من العلوم التجريبية، من جهة ثانية. وعلى أساس ذلك عرف القرن التاسع عشر تحوُّلاً ملموسًا في مناهج التأثيلية الغربية. فقد كتب أوغست شيلر في مقدمة قاموسه الذي وضع له عنوانًا ذا دلالة خاصة وهو: **قاموس التأثيل الفرنسي في ضوء نتائج العلم الحديث**، يقول: «إنه بفضل البحوث الهادئة والواعية تمَّ التوصُّلُ إلى معرفة القوانين التي بها تتكوّن الألفاظُ وتنمو وتتلاشَى، وهذه القوانين يجب احترامُها. ولا يكفي عند البحث عن أصول الكلمات أن يكون الإنسان متمتِّعا بحسٍّ مُرهَف ودقيق، بل يجب أن يتعلم كثيرًا قبل أن يقترب من فيسيلوجية اللغة. لقد ولَّى زمنُ التخمينات وأصبح بإمكان التأثيل أن يَصير علمًا إيجابيّا، بل علمًا دقيقًا. هذا العلم الدقيق وإن لم يكتمل بعدُ في الحقيقة، إلا أنه في طريقه إلى الاكتمال»[57]. وبعده بعشر سنوات أصدر أوغست براشي قاموسه التأثيلي، فقدَّم له بمدخل مطوَّل، تحدث

(56) Anne-Robert Turgot. *Etymologie :Principes de critique pour apprécier la certitude des étymologies , in :* L'Encyclopédie, ou Dictionnaire raisonné des sciences, des arts et des métiers, dirigée par : Diderot & d'Alembert, (Vol.3,Paris) p :98.

(57) Auguste Scheler .*Dictionnaire d'étymologie française d'après les résultats de la science moderne,* 1ère éd. *(* Paris /Bruxelles, 1862).

فيه عن التحول المنهجي الذي عرفه هذا العلم بتبنِّيه المناهج المطبَّقة على بعض العلوم القائمة على التجربة والملاحظة كعلوم الحيوان والنبات والتشريح، فأصبح منذ ثلاثين عامًا ـ كما قال ـ داخلاً في عداد "علوم الملاحظة". ويقوم هذا المنهج الحديث على ثلاثة أُسُس أو أدوات علمية أساسية هي «قوانين التغيّر الصوتي، والتاريخ، والمقارنة ». **فتاريخ** الكلمة يُوصلنا إلى معرفة أصلها الأول أو إلى ما يُقاربه على الأقل، **والصوت** يزوِّدنا بقواعد التغيّر والتحوّل من لغة إلى أخرى، و**المقارنة** تؤكد لنا النتائج المحصَّل عليها. «تطبيق هذا المنهج بكل صرامة، استطاع **التاثيلُ المقارِن** أن يكتسب صفةَ العلم»(58). ومحاولاتُ التأثيليّين تطويرَ مناهج علمهم والانتحاءَ بها منحًى علميًا موضوعيًا، لم تتوقف منذ ذلك الوقت. وقد أشرنا فيما تقدم إلى المرحلة التي وصل إليها هذا العلم على يد بيير غيرو (ت1983م) الذي اقترح منهجًا يجمع بين الجانب التأثيليّ التاريخي للكلمات (ويسمّى عنده بالتأثيل الخارجي)، والجانب الذي يستند إلى النظام الصَّرفي الخاص بالكلمات في كل لغة (ويسمّيه التأثيل الداخلي)(59). وفضلاً عن هذه القواعد العامة، هناك محدِّدات أخرى كثيرة يلجأ إليها علماء التأثيل المتخصّصون للتمييز بين الصحيح المقبول عقليًا وعلميا وتاريخيا من التأثيلات المقترحة، وبين الزائف والمُبَهرَج.

رغم ذلك، لا نستطيع اليوم أن نقول إن الجهود التي بُذِلت لفرض صرامة منهجية على هذا العلم، قد استطاعت تخليصه بصفة نهائية من كل الشوائب ومن تدخل العنصُر الذاتي والهَوَى الشخصي. فما تزال فيه نسبة لا مناصَ منها للاحتمالات(60)، ولاسيما عند نقص الوثائق والشواهد النصّية وضِيق مجال

(58) ibid

(59) من كتاب: Pierre Guiraud . *Structures étymologiques du lexique français,* Que sais-je ? 4ème éd. (PUF, Paris 1979) pp :17-18.

(60) يختم بيير غيرو الفقرة الأخيرة من كتابه المذكور في الهامش السابق(ص: 271) بالقول: «هذا ما يجعل من الإيتيمولوجيا علمًا للاحتمالات». وبعد أن يأتي بأمثلة عديدة ومنها التواريخ التي==

المقارنة التي بها تتأكد نتائج البحث، فلا يبقى ما يُعتمَد عليه أحيانًا سوى إعمال الشك من جهة، والحدس العلمي من جهة ثانية. والحدسُ نفسه يحتاج إلى كثير من الحذَر والاحتياط، وإلى صقله بالثقافة الواسعة والتجربة الطويلة. وقد يقود إلى الحقيقة، لكن هذه الحقيقة ستظل مع ذلك في حاجة إلى أدلة ملموسة لتأكيدها وإثباتها والإقناع بها. أما الذين لم تكتمل لديهم الأدوات والشروط، أو تتغلّب عندهم العاطفة القومية أو الدينية على الحسّ النقدي، فيأتون بالغرائب والعجائب.

وعمومًا يمكن تقسيم نتائج التأثيل من حيثُ قوتُها وضعفُها، صحتُها واعتلالُها، إلى الأنواع الآتية:

1 ـ : تأثيل مؤكّد: وهو الذي قامت الدلائل القويّة على صِحَّته، وتأكدت فيه العلاقةُ بين الفرع والأصل، من خلال جملة عناصر أهمُّها التطابُق أو التقارُبُ في الصوت والمعنى والبِنية الصرفية وعدم التعارض مع الوقائع التاريخية أو أيّة حقائق أخرى، مع وجود الشواهد النصّية التي تُثبته. ومن أمثلته: تَلفَزة، تِلِفُون، بابُور[61]، باصٌ، مِتْرٌ. وهي كلمات متداولة بكثرة في العربية الحديثة ولا يشك أحد اليوم في كون العربية قد أخذتها على التوالي من: Télévision, téléphone, vapeur / vapor, bus, mètre.

2: ظَنّي أو مَشكوكٌ فيه. وهو ما توفَّر فيه بعضٌ من العناصر السابقة ولم يتوفَّر بعضُها الآخر، فيظل الشكُّ في صحته قائمًا ولو جزئيّا. ومن أمثلته: Albatros التي ترد في الفرنسية ولغاتٍ أوروبية أخرى بهذه الصيغة وبصيغة:

= = تُعطَى للكلمات، يقول إنها بدورها ليست دائمًا مقطوعًا بها، ولا سيما أن بعض أنواع الكلمات مثل الألفاظ والمصطلحات العلمية والتقنية لا تدرج ضمن المعجم العام للغة إلا بعد مرور وقت من ظهورها. وكثيرًا ما وجدنا المؤلف في كتابه هذا وغيره من بحوثه يلح باستمرار على أهمية الحاسة السادسة حاسةِ التمييز أو الفطنة، والموهبة أو le talent ، وعدم الاعتماد على فرضيات تكتفي بالمقارنة الصُورية والشكلية .

(61) كان هذا اللفظ يُطلق في المغرب على السفينة عندما ظهرت السفُن البُخارية.

alcatros. فالخلافُ كبير حول أصل الكلمة هل هي لاتينيةٌ أم من لغاتِ أمريكا الجنوبية أو من العربية. والذين يقولون بأصلها العربي يختلفون في ماهية هذا الأصل ما بين: (القادوس) أو (البُطرُس)، أو (الغَطَاس)، أو (القَطْرَس). وذلك لعدم وجود دليل قاطع على أيٍّ واحدٍ منها.

ومثاله أيضًا كلمة: bayade الفرنسية التي تعني نوعًا من الشَّعير يَميل لونُه الى البياض ويُزرَع بجنوب فرنسا. فهل الكلمة مأخوذةٌ من (بَياض) العربية بحُكم لون هذا الشَّعير؟ ولهذا القول مُرَجِّحاتٌ، أم من فعل (bailler) في الفرنسية القديمة: بمعنى: (يُنتج كثيرًا)، كما في بعض القواميس؟

ومنه ما جاء في كتاب **الاشتقاق** لابن دريد: « يقال إن ابنَيْ إياس بن مُضَر: مُدرِكة وطابِخة، طلَبا إبِلًا لهما ذهبَت. قال: فقعَد طابِخةُ يَصنع طعامًا ومضى مُدرِكةُ فأدركَ الإبلَ فسُمّي بذلك، وسُمّي طابخةُ بطَبخه الطعامَ»[62]. فهذا الاشتقاق لا يستند على أي دليل موثوقٍ سوى هذه الحكاية الشعبية التي تناقلتها الأجيال ولا أحد يستطيع إثباتَها أو إنكارَها.

وما ذهب إليه **معجم الصواب اللغوي** لأحمد مختار عمر في أصل كلمة (مُسَوْجَر) المستعمَلة في العامّية المصرية، فيقال: خطابٌ مُسَوجَر، بمعنى: مُقيَّد ومُغلَق. وهو أنها كلمةٌ فصيحة اعتمادًا على ما ورد في: **أساس البلاغة** وهو قولهُ : «سَوْجَرتُ الكَلبَ: طَوَّقته بالساجُور وهو طَوقٌ من حديد»، وما في **اللسان** وهو: «كتَبَ الحَجّاج إلى عاملٍ له: أنِ ابعَثْ إليَّ فلانًا مسَمَّعًا مُسَوجَرًا، أي مُقيّدًا مَغلولاً». لكن ما ظهرَ لي ـ والله أعلم ـ هو أن (مُسَوجَر) في العامّية المصرية الحديثة لا علاقة لها ب(مُسَوْجَر) القديمة المأخوذة من (الساجُور) والمستعمَلة في كلام الحَجّاج بمعنى: مقيَّد ومغلول مثل الكلب، ولاسيما أن الجيم تُنطق حاليًا في اللهجة المصرية العامة جيمًا معقودة لا فصيحة[63]، وإنما هي من أصل

(62) ابن دريد. **الاشتقاق** ص 96.

(63) أكَّد لي ذلك الزَّميل د. الكريم عبد الكريم محمد جَبل، ولكن د.أمين منتصر أجاب عن سؤالي: هل تستعمل كلمة : مُسوجَر بالجيم الفصيحة أم بالجيم القاهرية؟، بأنها في القاهرة ومـا حولها مـن ==

أجنبي دخلَ من الفرنسية منذ مرحلة انتشار الثقافة واللغة الفرنسيتين في مصر بعد حملة نابوليون ورجوعِ البعثات العلمية التي وُجّهت إلى فرنسا. والدليل أن هذه الكلمة نفسها (مُسَوجَر) مستعملة في المغرب بنفس النطق، أي بجيم معقودة (مُسَوْگر). تقول: أرسلتُ خطابًا مُسَوگرًا أي بطريقة مضمونةِ الوصول. وهذه منحوتة من العبارة الفرنسية :Sous garantie. فعند إرسال خطاب مضمون يقال: Lettre envoyée sous garantie، (أي أن الخطاب أرسل بطريقة مضمونة)، والرسالة المضمونة عادةً ما تكون مُقْفَلة ومختومة وقد تُشمَّع زيادةً في الاحتياط لسرّية مضمونها ومحتواها. وكان هذا منتشِرًا جدّا في اللغة الفرنسية قبل عقود قليلة، أي قبل أن تترك هذه الصيغة مكانَها للعبارة الشائعة اليوم وهي: (Lettre recommandée) أي رسالة مضمونة أو مُوصًى بها.

إذن، الكلمة المستعملة اليوم في العامية المغربية (مُسَوگر/ مُسَوْجَر) جاءت من العبارة الفرنسية في غالب الظن. وعندي احتمالٌ كبير أن العبارة المصرية أيضًا أُخِذَت من الفرنسية بالطريقة نفسها. وأما ردُّها إلى الأصل العربي الفصيح الذي استعمله الحَجَّاج بن يوسف فبعيد جدّا، ولاسيما أن هناك اختلافًا في المعنى: فقولك: (قيَّد الشيءَ وشدَّ وَثاقَه وعامَلَه معاملةَ الكلب) المُسَوجَر، ليس هو المعنى المراد من الرسالة المطلوبِ ضمانُ وصولها والحفاظ عليها، وإلا فكل رسالة عادةً ما تكون مُقفَلة ومُغلَقة[64].

3 ـ **التأثيل الناقص والمَعيب**: وهو الذي يلجأ فيه صاحبُه إلى الكشف عن جزءٍ من الحقيقة وإخفاء جزءٍ آخر، إما عَمدًا وإصرارًا، وإما جهلاً وتقصيرًا. ومثاله أن تجد من القواميس الأوروبية ما يجعل أصل الكلمات الآتية:

== مدن الدِّلتا تنطق بالجيم القاهرية، وهي في الصعيد تنطق بالجيم الفصيحة. ولكن، ربما كان لذلك تأويل، وهو أن أهل الصعيد يُحوّلون بشكل آليّ كل جيم قاهرية إلى جيم فصيحة حتى ولو لم يكن أصلها كذلك.

(64) والغريب في الأمر أن أحمد مختار عمر لم يورد كلمة (مُسَوجَر) ولا (ساجور) القديمة في: **معجم اللغة العربية المعاصرة**، رغم أنه دافع عن صحة أصلها العربي في: **معجم الصواب اللغوي**، على نحو ما قلناه.

(minaret, café, cadi, fez, mosquée, ottoman, sorbet, raia, sultan) (65)
من التركية، وهو يعلم أو يتجاهل أن التركية إنما أخذتها من العربية. ويصنِّف الكلمات الآتية:

(arsenal, artichaut, baldaquin, bocal, carmin, fanal, faquin, satin, sirop)(66)

ضمن الألفاظ الإيطالية دون اعتبار مرحلتها العربية التي مرَّت منها. ويجعل الكلمات الآتية:

(Laquais, matamore, réalgar, mousson, fanfare)(67) من أصل إسباني دون ذكر المنبَع الذي استَقَت منه الإسبانية. فعند التأثيل والتَّرسيس لا بد من إرجاع الكلمات إلى مَنبعها الأصلي أو ما يُستطاعُ الوصولُ إليه، لا إلى أقرب باب دخلَت منه، إلا في حال استحالة الوصول إلى الأصل الأسبق أو البعيد. فإن تمَّ إغفالُ ذلك عن قصد مُبيَّتٍ فهو تضليلٌ وتزييف، وإن تمّ عن حُسن نية ففيه تقصير. وحتى لو كان مع نية الاختصار فهو اختصار مُخِلٌّ.

4 ـ **التأثيلُ المَعكوس أو المقلوب**: وهو من التأثيلات الخاطئة التي قامت الأدلة على بُطلانها، مثل القول إن artichaut مأخوذةٌ من: (أرض شَوكي) أو (أردِ شوكة)، بينما العكسُ هو الصحيح، كما ذُكِر من قبل.

ومثالُه أيضًا كلمةُ: salad في الإنجليزية الحديثة. فقد جعل بعضُهم أصلَها من (سَلَطة) في العربية(68). مع أن العربية لم تعرف هذه الكلمة إلا في وقت متأخر، بينما اللفظُ الأعجمي موجود في الإنجليزية المتوسِّطة بصيغَتي: salade, sallat منذ القرن الرابع عشر الميلادي للدلالة على الأكلة الخفيفة المكوَّنة عادةً من

(65) مَنارَة، قهوة، قاض، فاس، مسجد، عثمان، شُربة، رعِيّة، سلطان.

(66) الصنعة (أو الصناعة)، خُرشُف أو خرشوف، بغدادي، بُوقال، قرمزي، فنار، فقيه، زيتوني، شراب (شروب).

(67) القائد، مطمورة، رهج الفار، موسم، ثرثار.

(68) انظر: مهند عبد الرزاق الفلزجي. **معجم الفردوس** (الرياض، مكتبة العبيكان، 2012).

بعض الخُضَر والمِلح والزَّيت والخلّ، وهي أُكلة كانت معروفة عند الإغريق والرومان منذ عهد قديم. وفي الفرنسية رُصِد وجودُ لفظ: salade منذ بداية القرن الخامس عشر، وفي الإيطالية لفظُ : insalataمنذ نهاية القرن الثالث عشر الميلادي، وله في هذه اللغة صيغتان أُخرَيان مستعملَتان في الشمال وهما: (salda, salta)، والأصلُ من فعل:salare,insalare بمعنى (مَلَحَ الشيءَ: جعل فيه مِلحًا) المأخوذ من اللاتينية: sal بمعنى: مِلْح. فمن الواضح أن العربية الحديثة أخذت لفظ (سَلاطة، سَلَطة، سَلْطة) من الإيطالية[69]، يدل على ذلك التطابُقُ الصوتي من جهة، والمقارنة اللغوية التاريخية من جهة أخرى، ويؤكده من جهة ثالثة ما نصَّ عليه البستاني في **محيط المحيط** للبستاني حين نقَلَ (سَلاطة، سَلَطة) عن لسان العامة في وقته وقال إنها كلمة إفرنجية. وذلك على النقيض مما جاء في معجم *عطية* أنها محرَّفة من العربية (سَليط) الوارد قديمًا بمعنى الزَّيْت ثم تحوَّل في العصر الحديث للدلالة على الزَّيت المَمزوج بالبُقول وغيرها. فليس هذا سوى ضرب من التَمَحُّل والافتراض البعيد.

ولعل أقدم القواميس العربية التي ورد فيها لفظُ (سَلَطَة / سَلاطة) هو قاموس إلياس بُقطُر (1828م)، ثم أوردتها قواميسُ أخرى بعده مثل قاموس مارسيل[70] الذي اهتم بالألفاظ العامية المتداولة في المغرب والجزائر وتونس ومصر على وجه الخصوص، فأضاف إلى الصيغتين المذكورتين صيغةً جديدة مستعملة في المغرب وهي (شَلادة) بالدال. ثم قاموس بيرغرن (1844م)[71] االذي أوردها بصيغة سلاطة (ج. سَلَطات)، ثم **محيط المحيط** للبستاني (1870م)، و**تكملة** دوزي (1881م). وكان اللفظ من قبل قد وردَ بصيغة (سلاطة: salatah) في رحلة ريشار بُورطون إلى مكة والمدينة التي ظهرت طبعتُها الأولى سنة

(69) وفي العربية المعاصرة صيغة أخرى وهي : صَلْصَة.

(70) مرجع سابق.

(71) J.Birggren .*Guide français arabe vulgaire des voyageurs et des francs en Syrie et en Egypte* (Upsal , chez Leffler et Sebell, 1844).

1855م[72]. وكل هذه الصيغ أُخِذت من العاميات العربية المتأثّرة باللغات الأوروبية مباشرةً أو عن طريق التركية .

5 ـ **التأثيل التعسُّفي**: وهو الذي يحاول فيه أصحابُه لَيَّ أعناقِ الكلمات من أجل إلحاق نسب بعضها ببعض، لأدنى سببٍ ومهما كانت العلاقة واهيةً بين الأصل والفرع. فورود لفظَين متقارِبين صوتًا، أو صوتًا ومعنًى، في لغتين مختلفتين، لا يقتضي بالضرورة أن أحدهما أُخِذ من الآخر. فقد يحدُثُ مثلُ ذلك التشابُه لمجرد تَوارُدٍ ومصادفةٍ عارِضة في حالات كثيرة. وظاهرة التوارُد والمصادفة بين اللغات ظاهرةٌ موجودة ومعترَف بها علميًا وواقعيًا. ومن الأمثلة على هذا النوع قولُ من قال إن كلمة: solide الفرنسية جاءت من: صَلْد، وnoble من: نَبيل، وpierre من: بَرّ، و pièceمن: فَصّ. وrefuser من: رفض. وsauce من: ساسَ يسوسُ. وsoulagement من: سَلْوَى ، وrendre من: رَدَّ، وAtlas من: أطلَعَ، وaviver من: أَجَّجَ، وdegré من: درَجة، وfou من: فَهْو، وmanège من: مَنهَج ... وهلمّ جرّا. ومن ذلك ما زعَمه أدي شير في قاموسه[73] من أن فعل (شَرِبَ) الماءَ نفسَه فارسيٌّ أصلُه من (سِيرْ) بمعنى: رَيّان، شَبعان، و(آب) بمعنى: ماء، وكأن العرب لم يكونوا يعرفون ما يُعبِّرون به عن معنى شُرْبُ الماء حتى استعاروا من الفُرس ذلك اللفظَ لأداء ذلك المعنى، مع أن الفارسية ذاتها أخذَت من فعل (شَرِب) العربي كلماتٍ عديدة مثل:(شَرْبَتْ) بمعنى: شَراب مُحَلًى بالعسَل، و(شراب) بمعنى: خَمر، و(شرابْخانَه) بمعنى: حانَة... الخ[74].

---

(72) انظر: Richard Burton . *Personal narrative of a pilgrimage to Medinah and Meccah* , éd.2. (London 1857) . vol.1, p :128, vol. p :280. 2.

وكان أولُ ورودٍ للكلمة في هذه الرحلة بمناسبة حديث له عن طعام تناوله في مصر، ثم ذكرها المؤلف بمناسبة حضوره مأدبة عشاء، أقامتها على شرف عدد من الحجاج، شخصيةٌ ذات أهمية لها ارتباط بمصر وتركيا. وكانت هذه السلاطة بسيطة جداً مكوَّنة من الخِيار الرَّطب.

(73) معجم *الألفاظ الفارسية المعرّبة*.

(74) ولعل من هذا القبيل ما نقلوه في القديم عن اللغوي أبي عبيدة (مَعمَر بن المُثَنَّى) ت 209هـ، وكان معروفاً بشعوبيته وتعصُّبه ضد العرب، أنه قال إن لفظ (الخِير) بكسر الخاء، ومعناه الفضل والكرَم والشرف والأصل والهيئةُ، فارسيٌّ معرَّب (نقل عنه ذلك الجواليقي في *المعرَّب*).

وقولِ من قال إن فعل: marcher في الفرنسية مأخوذٌ من (مَشَى) العربية. والقاعدة المعروفة هي أن قدرًا معيَّنا من الألفاظ لا يُستعارُ في العادة إلى لغاتٍ أجنبية إلا في القليل النادر جدًا، وأعني بذلك الرَّصيد المعجمي الأساسي المكوَّن من كلمات لا يمكن أن تخلو منها كلُّ لغة، مثل الألفاظ الخاصة بأجزاء البدَن (الفَم، اللسان، الوجه، العين، الأذن، الأنف، الرأس، البطن، الرّجل، القَلب، الكبد ..الخ)، والألفاظ المعبِّرة عن الحواسّ الخمس من شمٍّ وسمع ورؤية ولَمس وذوق، وألفاظ الحركات التي يقوم بها كلُّ إنسان من مثل المشي والجري والوقوف والجلوس والنوم واليقظة، وما يتعلّق بضروريات عيشه كالأكل والشُّرب، والماء والطعام، وما يُحيط به من أجزاء الطبيعة المُلازمة للإنسان في بيئته كالسماء والأرض والتراب والرِّيح والهواء والشمس والقمر والليل والنهار والنجوم والبَرد والحرِّ، والنبات والحيوان، والنار والحَطب ... الخ. فليس هناك من قوم عاشوا إلا ولهم معرفة بهذه الأشياء التي لا يستغني عنها الإنسانُ.

ومن مزالق هذا النوع من التأثيل أيضًا، ما ذهب إليه صاحب كتاب: **اللغة العربية أمُّ الساميّات**[75] حين أراد التأثيلَ لكلمة:caramel فقال:« أرجعَ قاموس ليطري الكلمةَ الفرنسية إلى كلَمتين عربيّتين هما : (كُرَة) و(مِشَلَّة) بمعنى شيء دقيق حلو في شكل كُرة . قال الأعشى الأكبر:

وقد غَدوتُ إلى الحانوتِ يَتبعُني   شاوٍ مِشَلٌّ شُلولٌ شَلْشَلٌ شَوِلُ »

ولا أدري هل أعجَبُ من سوء قراءة المؤلِّف كلامَ ليطري أم من شاهِدِه الشعري الذي أراد أن يَستخرِج منه الدليلَ لتأييد كلام ليطري؟ والحقيقة أن قاموس ليطري كتَبَ:

«kora : boule et, mochalla : chose douce» وهي كتابة خاطِئة وقعَ فيها هذا القاموس الفرنسي لعبارة (كُرةٌ مُحَلاةٌ)، تبعه فيها صاحبُ الكتاب المذكور رحمه الله.

(75) من تأليف المرحوم عبد العزيز بن عبد الله، طبعة سيدي بلقاسم أزروال ـ المغرب 2008 .

6 ـ التأثيل المبني على افتراضات وهمية أو مُستبعَدة: فمن الأخطاء المضحكة التي أصبحت محلَّ تندُّر التأثيليّين المتأخرين، ما ذهب إليه جيل ميناج صاحبُ كتاب : **أصولُ اللغة الفرنسية**[76]حين قال إن أصل كلمة haricot هو (faba) بمعنى fève (فُول)، ولكي يملأ الفراغ الموجود بين الصيغتين المتباعدتين الأصل والفرع)، لجأ إلى عدة افتراضات: فقال إن (faba) تحولت إلى fabaricus ثم إلىfabaricotus ثم إلى: haricot. وهذه مجرد افتراضات لا شيء من التاريخ يؤيدها[77]. يقول براشي[78]: «القاعدة التي أصبح التأثيليون المحدثون يعملون بها هي أن التأثيل لا يهتم بما كان يمكن أن يقال، ولكن بما قيل فعلاً».

ومن ذلك أيضًا، ما ذهب إليه عبد الرحمان البُوريني في كثير من الأمثلة التي ذكرها في كتابه: **اللغة العربية أصلُ اللغات كلها**، ومنها: ترجيحُه أن تكون كلمة: animal (في الإنجليزية والفرنسية) متحوِّلةً من مقلوبهأ alanim مما يجعل أصلها عربيًا وهو (الأنعام). وهو محض افتراض بعيد الوقوع.

7 ـ تأثيل الهواية والتسلية: الذي لا يدل على جِدّية أصحابه بقدر ما يدل على نوع من الممارسات الهَزلية التي تصدر عن أشخاص في مناسبات مختلفة، لكن قد يتلقَّفها شخصٌ آخر ويحملها محملَ الجدّ. ومن أمثلته التي تُورَد على سبيل التفكُّه كلمة parlement (برلمان) التي زعموا أنها مكوَّنة من parle + ment (تكلّم + كذَبَ)، وchapeau (قُبّعة) من (échappe + eau) (يحتمي من الماء)، وChemise (قميص)، من (chair + mis) (موضوع على اللَّحم)، وpantalon (سِروال) من (pend au talon) (معلَّقٌ على الكَعْب). وهي من الأمثلة التي ذكرها بيير غيرو.

8 ـ التأثيل الأسطوري والإيديولوجي: وفيه يمتزج الموروثُ الثقافي بالعقائد الدينية والميول السياسية والأسطورة والخرافة، فيطغى ذلك على ما هو

(76) انظر: كتابه: **أصول اللغة الفرنسية**: Gilles Ménage : *Les origines de la langue française*

(77) انظر مقدمة قاموس أوغست براشي الذي أحلنا عليه مرارًا.

(78) المرجع نفسه.

علمي ومنطقي. ومن أمثلته: إصرارُ بعض القاموسيّين الغربيّين المتأثّرين بالأساطير العِبرية على ردّ كلَّ كلمة منحدِرة من اللغات العروبية (السامية) إلى اللغة العِبْرية دون غيرها ولاسيما الكلمات الدينية مثل (جهنم، عدن، المنُّ، المَهْر... الخ). فالساميُّ في مفهومهم هو العِبري لا غير. وردُّ المتأثّرين برواسب الصراع الحضاري والديني بين الشرق والغرب الذي يعود إلى مرحلة الحروب الصليبية، كلَّ ما هو غامضُ الأصلِ أو مجهولُه عندهم إلى اللاتينية أو اليونانية. فقد كان صمويل بوشار ممن اشتهر بهذا النوع من التأثيلات التي لا تستند على أي دليل تاريخي أو منطقي سوى ما قلناه من تأثير العقيدة والثقافة الدينية والإيديولوجية والأسطورة. ومن حسن الحظ أننا وجدنا من علماء الغرب أنفسهم من فنَّد كثيرًا مما تجنّى به على التاريخ اللغوي. فقد كان ألكسندر ثييس A.Théis في قاموسه التأثيليّ لألفاظ النَّبات، لا يجد خطأً من هذا النوع إلا ونبَّه عليه وبيَّن ما فيه من زيف. ومن شهاداته الجَرِيئة التي قلَّ نظيرُها بين الأوروبيّين في بداية ق19م، ما كتبَه بمناسبة الحديث عن تأثيل كلمة (ebenum) التي تحوَّلت في الفرنسية إلى:ébène، قائلاً:« وقد أعطى بوشار[79] في كتابه: Hierozoicon أصلاً عِبْريًا [لهذه الكلمة] لا يمكن قَبولُه. لقد كان هنالك حماسٌ ديني زائدٌ استمر لمدة طويلة، مما أدى إلى اعتبار العِبْرية هي أصل اللغات كلّها في العالم. ولكننا اليوم، مع احترامنا الكبير لهذا المبدإ، لا يمكننا أن نستمرَّ في تقبّل كل نتائجه». كما سَخِر منه آن تيرغو (ت 1781م) في بحثه المطوَّل عن التأثيل[80] حين وجده يردُّ كلمة: Britannica بإرجاعها إلى أصل عِبريّ (barat anac: أي بلَد القصدير). فهذا تأثيلٌ فاسدٌ كما يقول، صوابُه في رأيه ورأي عدد من اللغويّين[81]، أن أصل اللفظ

(79) صمويل بوشار: Samuel Bochart (ت1667م) رجل دين فرنسي بروتستاني، درس اللاتينية واليونانية والعبرية والسريانية والعربية التي ألف فيها قاموسًا كبيرًا لم يُنشر، وأصدر سنة 1663م كتابا آخر باللاتينية عن الحيوانات المذكورة في التوراة وهو المعروف باسم : Hierozoicon .

(80) *Turgot . Etymologie .*

(81) يقول بيير غيرو، ص: 14 من كتابه (L'Etymologie) المذكور سابقا: «إن الأثل (britan) المتبوع باللاحقة –icus هو صيغة محلية (أهلية) معروفة بحيث لا يمكن أن تكون لها علاقة بالعبرية : –anac ».

لاتيني: (britannicus)، أي منسوب إلى (Britannia)، فهو مكوَّن من (britan) أو (Britannia)، مع اللاحقة (icus). على أن بوشار زعمَ أيضًا أن الذين أطلقوا هذا الاسم على الجُزُر البريطانية هم الفينيقيون القرطاجنيّون حين كانوا بِصَدد البحث عن مَعدِن القَصدير. إلا أنه في هذه الحالة وجبَ أن يكون الاسمُ الذي أطلقوه فينيقيّا لا عِبريّا، فإن وُجِد في العبرية أيضًا فهو من الرصيد المشترَك بين الساميات وليس خاصّا بالعبرية كما يُفهم من كلام بوشار على قاعدة أن الساميّ هو العِبري فحسب، وهي قاعدة مرفوضة من أساسها. نعم إن العِبرية والفينيقية تنحدران معًا من الكَنعانية، ولكن الكنعانية بدورها تشترك مع العربية في فرع الجَزرية (السامية) الشمالية الغربية. ولا أدل على ذلك من أن كلمة (anak) بمعنى الرصاص أو القَصدير موجودة في عدد من اللغات الجَزرية (السامية) بصيَغ متقاربة كالعِبرية والأشورية والآرامية والسُّريانية وفي العربية أيضاً (آنُك)[82]. وكلمة (barat) بمعنى بَرّ (بَرّت) أو أرض، مشتركةٌ أيضًا بين الجَزَريات، ومنها الفينيقية. إذن، أن يكون الفينيقيون قد اكتشَفوا الجُزُر البريطانية وأطلقُوا عليها ذلك الاسم، فذلك أمرٌ قابل للتصديق؛ فقد عُرِفوا تاريخيّا بتجارتهم الواسعة وسيطرتهم الكاملة على البحر المتوسط، كما أن اللغة الفينيقية انتشرت بشكل كبير في المنطقة المتوسِّطية وما يُحاذيها، وإطلاقُهم أسماءً من هذه اللغة على عدد من المدُن والجُزر والموانئ أمر طبيعي حدثَ ما يشبهُه في أماكن عدة. لكن هذه الرواية إن صحّت فهي تنقُض ما زعمه بوشار من نسبة الأصل إلى العبرية بينما هو فينيقي جَزَري عروبي. وحتى في هذه الحالة الأخيرة يبقى هنالك ما يدعو للاحتياط، فالتسليم به يقتضي التسليم بما طرأ على هذا الأصل المفترَض من قلب وتحويل صوتيَّين بعيدين. فكلمة (barat) المفترض أنها تمثل الأصل السامي تحوَّلت إلى: (brit)، وكلمة (anak) بدورها تحوَّلت إلى (annica)، ثم وقع الجمع

(82) قد نجد في بعض القواميس العربية القديمة ما يشير إلى أعجمية الكلمة، لكن ذلك يُحمَل على أن القدامى لم يكونوا يعتبرون أن فروع اللغات السامية تنحدر من أصل واحد ولها رصيد معجمي تشترك فيه جميعُها كما تشترك اللهجاتُ في لغة أمٍّ واحدة، وبالتالي فإن ما نجده في العربية من الألفاظ المشترَكة من هذا النوع إنما هو إرثٌ موزَّع بالتساوي على العربية وأخواتها.

بينهما في عملية ثالثة أدَّت إلى إيجاد كلمة ثالثة مركَّبة هي: (britannica)، وهذا الأمر ليس من السهل التسليمُ به.

وكما انتُقِد بوشار في إصراره على إرجاع كثير من الكلمات الأخرى إلى العِبرية دون أدلّة تاريخية أو علمية[83]، انتقَدوا أيضًا معاصِرَه جيل ميناج (ت 1692م) الذي كان لا يتورَّع، في كتابه **أصول اللغة الفرنسية** المذكور من قبلُ، عن القول إن أصل الكثير من الكلمات الفرنسية يرجِع إلى العِبرية عن طريق اللاتينية واليونانية. ولا حجة له في ذلك سوى الإيمان بأن لغة التوراة كانت هي العبرانية[84]، ومادامت كذلك فقد افترَضوا أن تكون هي أصل كل اللغات ومنها اللغات الأوروبية الحديثة المتفرِّعة عن اللاتينية واليونانية[85]. وكان من الذين ردّوا سخافاته وسخافات غيره في هذه النقطة أوغست براشي الذي كتب في مدخل قاموسه، وقد ذكرناه مرارًا: «اشتقاق كل اللغات من العبرية كان موضوعًا مفضَّلاً لدى التأثيليين القدماء، لكن أعمال المحدَثين أثبتت عدَمية هذه الخرافات. وإن أهم نتيجة توصَّل إليها العلمُ الحديث هي اكتشاف هذا القانون الذي يقول: إن العناصر المكوِّنة للغات تتوافقُ بشكل عادي مع العناصر المُكوِّنة للأعراق. ونحن عرقٌ يختلف اختلافًا تامّا عن العرق اليهودي، والعلاقاتُ التي يمكن أن توجد بين الفرنسية والعِبرية هي علاقة وهمية، وهي بالفعل علاقاتُ مصادَفةٍ لا غير. وحين ترجَم القديسُ جيروم saint Jérôme التوراة إلى اللاتينية، أدخل عددًا كبيرًا من الألفاظ العِبرية التي لم يكن لها مقابلٌ في اللاتينية [...]، وعن طريق اللاتينية أخذناها نحن، وإذن يمكن القول إن التأثير المباشِر للعبرية على الفرنسية لا وجود له». وبعد حوالي قرن من كتابة هذا الكلام عاد بيير غيرو

(83) منها إرجاعه كلمة: magum بمعنى ساحِر، ذات الأصل الكِلتي celtique إلى العبرية: mohun، ويقول منتقدوه إن أثل الكلمة أخذته اللاتينية من الكلتية: mag وأضافت إليه اللاحقة: um. وإليه ترجع الفرنسية: magicien، بالمعنى نفسه.

(84) مع العلم أن اللغة التي كُتِبت بها التوراة مختلفٌ فيها بين العبرية والمصرية القديمة والكنعانية.

(85) Dubois, *Dictionnaire de linguistique :Etymologie*.

ليتحدث عن هذه النقطة قائلاً: «في عصر النهضة نبَعت فكرةُ ربط الفرنسية باللاتينية والذهاب بهذه العلاقة إلى حد الوصول بها إلى العِبرية عن طريق الإغريقية. هذه الفكرةُ اللاهوتية التي كانت تطمح إلى ربط اللغة [الفرنسية] المتكلَّمة بلغة الوحي [العبرية]، ظلّت حية طيلة القرن الثامن عشر»[86]. ثم أضاف وهو يتحدث عن مسألة النقاش الذي دار في أوروبا حول أصل اللغات: «إن التفسير المسيحي للكتاب المقدس لم يفتأ يطرح مشكلة العِبرية باعتبارها لغة الوحي، وبالتالي فهي اللغة الأولى [أو الاصلية] التي قد تكون خرَجت منها كلُّ اللغات. إن تراث النصوص المقدَّسة يفترض وجود سلسلة نَسَب تمرُّ باللغة الإغريقية ومنها إلى اللاتينية وصولاً إلى اللغات [الأوروبية] الحديثة، ومن ثمَّ فهناك اقتراحُ تقاربٍ خادعٍ في غياب معطيات تاريخية ولسانية حقيقية».

ومن الأمثلة الأخرى على هذا النوع الأسطوري والإيديولوجي من التأثيل، ما وقع في محاولتهم البحث عن أصل كلمة (sarrasins) التي تُطلَق على الشَّرقيّين وخاصة العرب المسلمين) الذين جاؤوا فاتِحين وخاضوا سلسلة حروب مع الغرب. فقد ذهب بعضُهم إلى أن أصل الكلمة مُحَرَّفٌ من اللاتينية (saraceni) المأخوذة من كلمة (سارِق) العربية، وقالوا إن اللاتينَ سَمَّوا العربَ بهذا الاسم لأنهم كانوا معروفين بالغارَة والسَّرِقة. وفي قواميس أخرى أن العرب سُمّوا بهذا الاسم (sarrasins) لأنهم زعَموا الانتسابَ إلى (سارَة) زوجة إبراهيم عليه السلام عوضَ الانتساب إلى (هاجَر) أُمِّ إسماعيل التي كانت مجردَ أَمَةٍ أو خادمة ل (سارَة). وحسب هذا التأويل فإن الكلمة مؤلفة من: (Sara + sins). وهذا مخالِف لما اتفقت عليه عامة القواميس من أن كلمةَ (agaréen,nnes) تعني (الهاجَرِيّين) بمعنى العرب من نَسل (هاجَر) أمِّ إسماعيل، مع ما تَحمِله هذه النسبة من معنىً قَدْحي باعتبار أن (هاجَر) في الموروث الثقافي اليهودي، تنتمي لطبقة الخَدَم عكس طبقة الأسياد المتناسِلة من (سارَة) التي ينحدر منها بنو

(86) Pierre Guiraud .*L'étymologie*. p :14.

إسرائيل، في تأصيلٍ واضح لأسطورة التفوُّق العِرْقي اليهودي التي وُظِّفت أسوأَ توظيفٍ طيلة الحِقَب التاريخية الماضية.

9 ـ **التأثيل الارتجالي**: والمقصود به ما قد يأتي به صاحبُه لمجرد التحدّي والرغبة في التخلُّص من موقفٍ حَرِج وجدَ نفسَه فيه. فقد روى آن تيرغو في بحثه الذي تقدَّم ذكرُه أن أحد ملوك فرنسا دعا إلى معرض تجاري كبير في ساحة قصره، فلما عرض التجارُ بضائعهم، خرجَ مع أحد وزرائه ليرى ما لديهم. إذ ذاك همَسَ الوزيرُ في أذن الملك: لا أظن أن هناك شيئًا يخطر بالبال إلا وجدناه هنا. تبسَّم الملك وردَّ عليه: دَعْنا نُجرِّب. ثم تقدم من امرأة عارِضةٍ وقال لها: هل عندك شيءٌ من (الفالبالا falbalas)؟ فُوجِئت المرأةُ بهذا الطلب الغريب، لكنها ـ حتى لا تُضيِّع الفرصة ـ ما لبثت أن تماسَكت وأجابت: نعم يا مولاي. وأخرَجت له شيئا مما تُوشَّى به ثيابُ المرأة، وقالت: هذا هو (الفالبالا) بِعينه يا مولاي. أما تيرغو فعلَّق على القصة قائلًا: « ومنذ ذلك الوقتُ، والناسُ يردِّدون هذه الكلمة دون أن يكون لها أصلٌ »[87].

والأمثلة من هذا النوع في تاريخ اللغة العربية كثيرة. فكم من طرائف تُحكى عن علماء وأدباء كبار اضطرُّوا لاختراع كلماتٍ لا وجود لها في اللغة بقصد إفحام الخصم أو الخروج من مأزق وقعوا فيه. فقد حكوا أن أميرًا كان بين يديه طبَقٌ من تَمرٍ يأكل منه، ودخل عليه واحدٌ من هؤلاء، فأراد الأميرُ ممازحتَه، فبادرَه بالقول: هل تعرف في اللغة شيئًا اسمُه: (التَّمَرَكُلْ)؟ فما كان من الرجل إلا أن أطلق لخياله العنان مخترِعًا الشواهد والنصوص والروايات لإثبات وجود الكلمة في لغة العرب والخروج من المأزق، والأمير يعجب من تلك القدرة

(87) والغريب أن الكلمة ما تزال موجودة في القواميس الفرنسية (falbala s.m.) بمعنى قطعة قماش يُوشَّى بها لباسُ المرأة أو شيء من لوازمها. ويقول **قاموس الذخيرة الفرنسية** (TLF) إنه من المحتمل أن يكون أصلُها من البروفنصالية farbella بمعنى هُدْب أو خِرقة. أو من جملة الكلمات المؤلفة في الفرنسية القديمة من الصوامت الثلاثة (f – l - p) مثل: frepe, felpe ، وتدل على شيء تافه قليل الأهمية.

الفائقة على الاختراع والكذِب. وسُئلَ آخرُ على سبيل المُفاكَهة عن (الكَمَوج)، وقد نزَعها السائلُ من قول امرئ القيس:

وليلٍ **كموجِ** البَحر أرخىَ سُدُولَه .... البيت

فإذا بمُدَّعي العلم يستنجد بخياله لاختراع الشواهد والنصوص للاستدلال على صحتها ومعناها.

وقد حُكِيَ عن الأًصمعي وصاعد البغدادي أشياءُ كثيرة من هذا القبيل. كما روى حمزة الأصبهاني واقعةً لابن الرومي الشاعر الذي حضر مجلس أحد الولاة، فأراد الوالي أن يُعابثه ببعض الكلام المُصَحَّف فسأله: كيف بَصَرُك باللغة؟ قال: ما أقلَّ ما يَشذُّ عنّي منها. فسأله الوالي: ما (الجُرامِضُ) في كلام العرب؟ فأجاب الشاعرُ بشعر صنَعَه في الحال[88]:

أَسَـألتَ عـن خَـبَرِ الجُرامِـــ		ــض، طالِبــــــاً عِلـمَ الجُـرامِضْ؟
فهْـوَ الجُراضِـمُ حـين يُقلَـــــ		ـبُ ضـارِجٌ فيُقــــال: جــــارِضْ
وهـو الجُــــراسِمُ والقُمُحــْــــ		ــــرُ أو الحـــَراسِف والجراعِـــض
وهـو الحَزاكـــــــلُ فالـغَـــوا		مــــــــضُ قد تُفسَّرُ بالغــوامض
وهو السلحكـــلُ إن فهـــــــ		ـــمتَ، وإن رَكَنـتَ إلى المُعــارض
فاصـــبرْ وإن حَمُـــضَ الجــــ		ـــوابُ، فــرُبَّ صَبرٍ جرَّ حـامِض
والصَّـفعُ محتــاجٌ إلى فــــــ		ـــرع يكــونُ لـــهُ مـُقايــض
ومِنَ اللِّحَى ما فيـــه فـــعـــ		ـلٌ لِلْمَواســـــــي والمَقــــارَض

التأثيل عند العرب:

لم يكن من مهام هذا البحث استعراض ما أنتجته الأمم والشعوب من أعمال فكرية تنظيرية وتطبيقية في مجال التأثيل، وإنما أردنا هنا أن نجيب بتركيز

(88) حمزة الأصفهاني. **التنبيه على حدوث التصحيف**، تحقيق محمد أسعد طلس وآخرين (بيروت، دار صادر، 1992). ص 11.

تام عن سؤال كثيرًا ما ردده الباحثون، وهو : أين تتجلى الجهود العربية في هذا الموضوع، ولاسيما بعد أن شاع في الناس أن التراث العربي كان فقيرًا جدا في هذا الجانب؟ فالحقيقة أننا إذا نظرنا إلى التأثيل في مفهومه الواسع كما عرضناه في البحث، سنكتشف أن الجهود العربية ليست بالقلة التي نتصورها، وإنما نظرتنا إلى المفهوم الجزئي لهذا العلم، هي التي جعلتنا نبالغ في الأمر. وإلا فإن المباحث التي يشملها علم التأثيل أو لها علاقةٌ به، سنجدها موزَّعة على ثلاثة فروع من المعرفة المعجمية: وهي:

أ ـ مباحث الاشتقاق المعجمي والصرفي. وهي قديمة قِدَم التأليف المعجمي والبحث اللغوي العربي. إذ من المعروف عن الخليل بن أحمد الفراهيدي أنه كان أولَ معجمي بنَى قاموسَه المعروف بالعين على فكرة الاشتقاق. والاشتغال بالاشتقاق اللفظي من المباحث الكبرى التي احتلت مكانة متميِّزة في الدراسات اللغوية العربية سواء في باب المعجم وعلم المفردات أم في باب الصرف. وهذا النوع من المباحث يدخل تحت التأثيل الاشتقاقي، أو التأصيل الداخلي.

ب ـ مباحث الدخيل والمعرَّب. وهي أيضًا من الفروع اللغوية التي أُلِّف فيها عبر العصور أمثالُ الجواليقي وابن برّي والخَفاجي والسيوطي وغيرهم. ولا يكاد يخلو قاموس لغوي عام من الإشارات إلى الأصول الأجنبية للكلمات المعرَّبة. وهم يتوسَّعون في إطلاق صفة "الأعجمي" على كل ما جاء من لغاتٍ أجنبية كالفارسية واللاتينية، وأحيناً قد يطلقونه أيضًا على ما جاء من أخوات العربية من الجَزَريات الساميات. وقد تجدَّد البحثُ في هذا الموضوع حديثًا، فأسفر عن كمٍّ هائل من الأعمال التي بدأها مستشرقون وخاض فيها بعضُ العرب أيضًا[89]، فضلاً عن أعمال أخرى ظهَرت في العالم العربي واهتمت

(89) منها: ما كتبه أرثور جيفري، وأدراس رَجكي، وجان كلود رولان، وبيمان مَيْكلي، ونجوى أسعد، وغيرهم.

بالمعرَّب والدخيل من اللغات الشرقية وغيرها، وسلسلة من البحوث الكثيرة الأخرى التي اهتمت بدراسة الألفاظ العربية في علاقتها بالجذور والأصول السامية. وفي السنوات الأخيرة من الألفية الثالثة ظهرت عدة قواميس ومشاريع جديدة تبشّر بمستقبل واعِد لهذا النوع من الدراسة المعجمية التأثيلية(90). وهذا النوع من المباحث هو وحده الذي كان يدخل تحت باب التأثيل، مع أنه لا يمثل سوى الجانب الخارجي منه كما رأينا.

ج ـ **مباحث التأصيل الدلالي وتطور المعاني**: وقد عُرف عن ابن فارس اهتمامُه الخاص بهذا الموضوع في كتابه الشهير: **مقاييس اللغة** الذي حاول فيه جاهدًا ردَّ معاني الكلمات المشترِكة في الجذر الاشتقاقي إلى أصل دلاليّ واحد. ثم إنه لا يخلو قاموس عربي قديم من الإشارات الكثيرة إلى محاولة ربط كل لفظ بأصل دلالته ومعناه، فضلاً عن كتُب أخرى متخصّصَة عُنِيَت بالبحث عن علاقة الأسماء بالمسمَّيات والدوال بالمدلولات مثل كتُب الاشتقاق، وأهمها **كتاب اشتقاق الأسماء** للأصمعي و*كتاب* **الاشتقاق** لابن دريد. أما مباحث المجاز والحقيقة، فَلا يمكن عزلها عن المبحث الأصلي الذي منه تفرَّعت وهو تطور دلالة الألفاظ. فهي مبثوثة في كتب البلاغة، وفقه اللغة، وأصول الفقه، فضلاً عن القواميس اللغوية ومنها كتاب **أساس البلاغة** للزمخشري الذي عُنِي بالفصل بين المعاني الحقيقية والمَجازية على طريقته المعروفة.

---

(90) منها: المشروع الذي انطلق العمل فيه منذ سنة 2012 تحت إشراف أحد أساتذة جامعة أوسلو بكلية العلوم الإنسانية بعنوان:

An Etymological Dictionary of Arabic Language and Culture (EtymArab)

بتمويل من إحدى الهيئات الأوروبية، وقد نشر قسم منه مؤخرا. ومشروع بابل الذي يُنجزه منذ سنة 2008م ملتقى البابليّين: (Le Forum des babéliens) حول الألفاظ العربية ذات الأصل الإغريقي:

Les mots arabes d'origine grecque (Projet Babel).

المراجع

العربية :

- الأصفهاني، حمزة بن الحسن. **التنبيه على حدوث التصحيف**. تحقيق محمد أسعد طلس وآخرين: بيروت، دار صادر، 1992.

- أمين، أحمد. **قاموس العادات والتقاليد** . القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر 1953).

- البستاني، بطرس. **محيط المحيط** . بيروت: دار لبنان ـ ناشرون، 1998.

- ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن. **الاشتقاق**. تحقيق عبد السلام هارون، بيروت: دار الجيل، 1991.

- الزبيدي، أبو بكر محمد بن حسن. **لحن العوام**. تحقيق رمضان عبد التواب، [القاهرة]، مكتبة دار العربية، 1964.

- شير، السيد أدي . **معجم الألفاظ الفارسية المعرّبة**. بيروت: مكتبة لبنان، 1990.

- ابن عبد الله، عبد العزيز. **اللغة العربية أم الساميات**. المغرب، طبعة سيدي بلقاسم أزروال، 2008.

- عطية، الشيخ رشيد. **معجم عطية معجم في العامي والدخيل**. بيروت: دار الكتب العلمية، 2003.

- ابن فارس، أحمد. **مقاييس اللغة**، بيروت، دار الفكر، 1979.

- الغساني، أبو القاسم محمد بن إبراهيم. **حديقة الأزهار في ماهية الأعشاب والعقّار**. تحقيق محمد العربي الخطابي، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1985.

- فاضل،عبد الحق. **مغامرات لغوية**. بيروت: دار العلم للملايين، 1970م.

- الفلوجي، مهند عبد الرزاق. **معجم الفردوس**. الرياض، مكتبة العبيكان، 2012 .

- مجمع اللغة العربية بالقاهرة. **المعجم الوسيط** . ط 4. القاهرة: مكتبة الشروق، 2004.

- مختار عمر، (أحمد). **معجم الصواب اللغوي**. القاهرة: عالم الكتب، 2008.

- **معجم اللغة العربية المعاصرة**. القاهرة: عالم الكتب، 2008.

- مركز الأبحاث ودراسة السياسات. **معجم الدوحة التاريخي للغة العربية**، الدوحة: النشرة الإلكترونية التجريبية 2018 .

- ابن منظور، محمد بن المكرم. **لسان العرب**، ط3، بيروت: دار صادر، 1414هـ.

- نخلة، رفائيل اليسوعي. **غرائب اللغة**. ***بيروت:*** المطبعة الكاثوليكية، 1960.

- الودغيري، عبد العلي. **العربيات المغتربات، قاموس تأثيلي وتاريخي للألفاظ الفرنسية ذات الأصل العربي أو** المعرَّب. عمّان، الأردن: دار كنوز المعرفة، 2018.

- **القاموسية العربية الحديثة** بين تنمية الفصحى وتحديث القاموس والتأريخ للمعجم. الدوحة / بيروت: مركز الأبحاث ودراسة السياسات، 2019.

الأجنبية:

− Baldinger ,Kurt ." L'étymologie, hier et aujourd'hui". *Cahiers de l'Association internationale des études françaises*. n°11 (1959). pp. 233-264.

− Birggren , J. *Guide français arabe vulgaire des voyageurs et des francs en Syrie et en Egypte*. Upsal, chez Leffler et Sebell, 1844.

− Bocthor ,Ellious. *Dictionnaire français arabe*. Paris,1928

− Burton ,Richard. P*ersonal narrative of a pilgrimage to Medinah and Meccah,* second ed . London, 1857.

− Dauzat ,Albert. *Dictionnaire étymologique de la langue française.(Etymologie).* Paris : Larousse, 1938.

− Devic , Marcel. *Dictionnaire étymologique des français d'origine orientale.* Paris 1876.

− Dozey ,R. : *Supplément aux dictionnaire arabes,* Leyde 1881.

− Dozey (R.) & W.H.Engelmann : *Glossaire des mots espagnols et portugais dérivés de l'Arabe, Ed. Leyde 1869*

− Dubois (J.) et all : *Dictionnaire de linguistique* (Larousse,Paris 1973).

− Guiraud (Pierre). *Structures étymologiques du lexique français,* Payot 1986.

− L'*Etymologie*. 4ème éd. Que sais-je ?, PUF, 1979.

− Marcel , Jean-Joseph. *Vocabulaire français arabe des dialectes vulgaires africains d'Alger, de Tunis, de Marok et d'Egypte*. Paris 1837.

− Marouzeau , J. *Lexique de la terminologie linguistique. 3ème éd. 1951 (1ère éd .1933).Paul Guethner,Paris.*

− Martinet , André. "Pourquoi un dictionnaire étymologique ?" . *La linguistique*. Vol .2. Fasc. 2 .Puf , Paris 1966.

− Meillet ,Antoine. *Linguistique historique et linguistique générale.* Paris E. Champion, p . 1921.

− Ménage ,Gilles. *Les origines de la langue française.* Paris 1650.

− Picoche, Jacqueline. *Dictionnaire étymologique du Français*. Robert, Pais 2002.

– Robert ,Le .(ed. Alain Rey). *Dictionnaire historique de la langue française* .éd. Robert, Paris 1998 .

– Scheler ,Auguste. *Dictionnaire d'étymologie française d'après les résultats de la science moderne.* 1ère éd. Paris /Bruxelles , 1862.

– Isidore of Seville .*The Etymologies of Isidore of Seville.* Cambridge, University Press ,2006.

– Turgot, Anne-Robert. ″Étymologie :Principes de critique pour apprécier la certitude des étymologies ″. *L'Encyclopédie, ou Dictionnaire raisonné des sciences, des arts et des métiers*, eds Diderot & d'Alembert, Vol.3, Paris 1757.

- Vendryes, Joseph . Le Langage, introduction linguistique à l'histoire. Paris 1921.